توظيف علوم القرآن في الدعوة – علم المكي والمدني أنموذجا

رؤية نقدية تطويرية معاصرة

بقلم

الدكتور/ خيرالدين خوجة (الكوسوفي)

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والثقافة الإسلامية المشارك

كلية المجتمع بقطر

2016

العنوان:
توظيف علوم القرآن في الدعوة – علم المكي والمدني نموذجا (رؤية تحليلية نقدية تطويرية معاصرة)
تأليف: الدكتور خيرالدين خوجة الكوسوفي
عدد الصفحات:
قياس الصفحة:
عدد النسخ:
الترقيم الدولي : ISBN

حقوق الطبع محفوظة:
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الطرق إلا بإذن خطي من المؤلف

البريد الإلكتروني:
drhafezi68@gmail.com
الموقع الشخصي: www.drhafezi.net

الطبعة الأولى: جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية سلطنة بروناي 2016

توظيف علوم القرآن في الدعوة – علم المكي والمدني أنموذجا

رؤية نقدية تطويرية معاصرة

بقلم

الدكتور/ خيرالدين خوجة (الكوسوفي)

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والثقافة الإسلامية المشارك

كلية المجتمع بقطر

(وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وكلية أصول الدين بجامعة السلطان الشريف الإسلامية بسلطنة بروناي، وكلية المجتمع بجامعة طيبة بالمدينة المنورة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا) سابقاً

	صفحة
مقدمة	10
الفصل التمهيد: منطلقات هذه الفكرة التطويرية والتوظيفية مع ذكر النماذج لذلك	13
هدف الدراسة	17
دوافع الدراسة	17
الدراسات السابقة – نظرة في معاييرها	18
إشكالية الدراسة	21
أسئلة الدراسة	22
منهج الدراسة	22
الفصل الثاني: بيان الحاجة إلى مثل هذا النوع من الدراسات التطويرية لعلوم القرآن	23
المبحث الأول: ومضات من كلام السلف الصالح حول ضرورة تطوير علوم القرآن	24
المبحث الثاني: التوظيف السيئ من قبل المستشرقين لعلم المكي والمدني	28
المبحث الثالث: أهمية علم المكي والمدني وفوائد معرفتهما	31
المطلب الأول: أهمية علم المكي والمدني من منظور بعض العلماء المتقدمين	35
المطلب الثاني: أهمية علم المكي والمدني من منظور بعض العلماء المعاصرين	37
الفصل الثالث: الخصائص الأسلوبية والموضوعية للمكي والمدني مع بعض التطبيقات الدعوية العملية في كيفية التوظيف الإيجابي	42
المبحث الأول: الخصائص الأسلوبية والموضوعية للمكي والمدني	43
المبحث الثاني: تطبيقات عملية ونماذج معاصرة سلبية لعدم فقه أبعاد علم المكي والمدني	46
المبحث الثالث: نموذج مثالي معاصر في كيفية التوظيف الإيجابي لعلم المكي والمدني	49

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات	**56**
المصادر والمراجع	**61**

المحتويات

ملخص البحث

إن القرآن الكريم هو أشرف ما ينبغي أن تفنى في دراسته الأعمار، ولقد كان المقصد الأسمى من نزوله هو هداية الناس؛ غير أن هذا المقصد الأسنى والهدف الأسمى لا يتنافى مع ما فيه من دلالات وبشارات ومفاتيح لبعض العلوم الإنسانية والاجتماعية. ومن جملة مظاهر حفظ الله لهذا القرآن الكريم أنه قد حظي بالرعاية والاهتمام حفظاً في الصدور، وجمعاً في السطور، وتلاوة على الألسنة، وتفسيراً في الكتب، وتحفيظاً وتدريسا في الكتاتيب والمدارس والجامعات، وتدويناً لكل العلوم

والفنون المتعلقة به أمثال؛ علم المكي والمدني، العام والخاص، المطلق والمقيد، وعلم القراءات والأحرف السبعة، والأقسام والأمثال، والقصص القرآني والبلاغة...إلخ، فسبحان من زرع في قلوب عباده المخلصين حب الخدمة لكتابه الكريم. ولقد أجمع العلماء قديماً وحديثاً على أن أشرف العلوم على الإطلاق هي تلك العلوم التي تتعلق بكتاب الله عز وجل وتخدمه. كما قد أجمعوا على كون القرآن الكريم – شكلاً – من حيث رسمه وعدُّ آياته وسوره وكلماته وجمله – ومضموناً – من حيث التشريعات والأحكام والمبادئ – معجزة إلهية لكل العصور والأمصار عجزت البشرية الجمعاء عن مضاهاتها أو الإتيان بمثلها. وعليه، فإن كل علم يتعلق بخدمة كتاب الله عز وجل؛ هو أيضاً علم فيه إعجاز في جانب معين لكونه متعلقاً بالكتاب المعجز، وتتضح لنا صور إعجاز هذا العلم عندما نقوم بتقسيم وتفكيك هذه العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم والنظر في مقاصدها الأساسية والخفية – وما أكثرها في مقرر علوم القرآن – إلى جزئيات فرعية قابلة للتطبيق والتنفيذ، بحيث تتجمع لدينا معان ظاهرة للعيان وأخرى خفية. هذه الدراسة تدعو إلى منهجية جديدة للتعامل مع علوم القرآن، وذلك من خلال التوظيف الإيجابي لتلك العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم في حياتنا العامة والخاصة وإبراز معانيها الخفية للناس على مستوى الفرد والمجتمع والأمة، سواء ما تعلق منها بالجوانب والقضايا التربوية أو الدعوية أو الأكاديمية أو الأخلاقية. ولعل هذه البادرة الشخصية الأولى يكتب لها القبول والتطوير فيما بعد في الدراسات اللاحقة عن القرآن الكريم.

هذه الدراسة ستتطرق إلى دراسة أحد العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم ألا وهو؛ علم المكي والمدني ومعرفة كيفية توظيفيه والاستفادة منه في المجالات المذكورة آنفاً، متبعا **المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي المقارن**.

الكلمات المفتاحية: *علوم القرآن، المكي والمدني، توظيف، إعجاز، مقاصد.*

Abstract

Utilizing Qur'anic Sciences for the purposes of Dawa – *Makkan and Madinan Verses* – Case Study

(*Analytical critical study in some classical and contemporary books of Tafsir –Qur'anic Exegetes*).

No doubt that the Glorious Qur'an must be our main focus in our life. Guiding the people to the path of the Almighty Allah is the main objective of the revelation of the Glorious Qur'an. Besides that the Glorious Qur'an also contained issues of some Human and Social Sciences. Preserving the Glorious Qur'an, its interpretations, memorizations and recitations in the schools, mosques, and universities are among major signs that this Glorious book is Divine and God's Miracle revealed to the mankind. Since the Revelation of the Glorious Qur'an through

the centuries up to date, Muslim scholars have written and developed tens of sciences related to the understanding of the Glorious Qur'an such the topic of; *the Makkan and Madinan verses, the Compilation of the Glorious Qur'an, what is General and Specific, the Causes and Reasons behind the Qur'anic revelations, what is Absolute and Restricted, the Science of Qur'anic recitations and its readings, Qur'anic illustrations, Qur'anic stories* etc. Exalted be He, Who guided His servants to serve His book.

The inimitability of the Qur'an is a miracle in it itself. We believe that all related sciences to the Glorious Qur'an are considered secondary miracles and parts of the inimitability of the Qur'an. Such sciences are manifest and visible to the people. This study calls to new methodology in utilizing the mentioned sciences by exploring **their hidden meanings and messages which are not visible to the people**. Following this new methodology, it will enable us to understand the main objectives of the Divine message of the Glorious Qur'an and implementing them in our daily personal, social and national life. The study presents a full detailed explanation of the *Science of Makkan and Madinan Revelations*, how to implement and utilize its hidden lessons in guiding, calling and educating the

people. In conducting this study, the researcher has utilized the *inductive, analytical, critical and comparative methodology*.

Key words: ***Al Makki***, ***Al Madani***, ***Ulum al Qur'an***, ***Tawdhif***, ***I'jaz***.

إهداء

إلى المشتغلين والمشتغلات بالقرآن الكريم وعلومه وتفسيره

إلى الباحثين والباحثات من حملة الأقلام في الدراسات الإسلامية

إلى روح والدي الغالي رحمه الله وغفر له وأسكنه فسيح جناته

أهدي هذه الباقة العلمية الجديدة في الدراسات القرآنية

للزملاء من العلماء والأساتذة الأجلاء الذين تفضلوا علينا بقراءة هذا الدراسة وتقويمها

لمعالي رئيس جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية بسلطنة بروناي فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور الحاج نور عرفان بن حاج زينل حفظه الله

ونائبه الكريم فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور الحاج محمد حسين بن حاج أحمد حفظه الله

لتقبلهما نشر هذه الدراسة

بارك الله فيهما ووفقهما لخدمة الإسلام والمسلمين

ونحن لجهودهما المباركة وتعاونهما الأكاديمي المثمر

شاكرون ومقدرون

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإن القرآن الكريم هو أشرف ما ينبغي أن تصرف لأجله الأوقات وأن تفنى في دراسته الأعمار. لقد أكرم الله عز وجل الأمة الإسلامية إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس حينما كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، كما أن الله عز وجل جعل القرآن الكريم هاديا للتي هي أقوم فقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، وجعله نورا وبرهانا للعالمين، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[النساء: ١٧٤]، ووعد الله المؤمنين بالنصر والتأييد والقوة والتمكين شريطة اتباع القرآن ونصرة دين الإسلام، وطاعته سبحانه، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، وإقامة حدوده وتحليل حلاله وتحريم حرامه، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[محمد:

٧]، وقال عز وجل: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]. ولقد كان المقصد الأسمى من نزول القرآن الكريم هو هداية الناس وإرشادهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فقال تعالى: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ٢]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وقال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢]. غير أن هذا المقصد الأسنى والهدف الأسمى لا يتنافى مع ما في القرآن العظيم من دلالات وبشارات ومفاتيح لبعض العلوم الإنسانية والاجتماعية. فقد ورد في ثنايا آيات القرآن الكريم الحديث عن علم الفلك وعلم الكيمياء والفيزياء والرياضيات والهندسة وعلم طبقات الأرض (الجيولوجيا) وعلم البحار وعلم الأجنة وعلم الطب وعلم الاقتصاد وغير ذلك من العلوم والفنون، الأمر الذي دفع بعض العلماء الأجلاء إلى القول بإن القرآن الكريم قد اشتمل واحتوى علوم الأولين والآخرين.

ومن جملة مظاهر حفظ الله لهذا القرآن الكريم أنه قد حظي بالرعاية والاهتمام حفظاً في الصدور، وجمعاً في السطور، وتلاوة على الألسنة، وتفسيراً في الكتب، وتحفيظاً في الكتاتيب والمدارس والجامعات، وتدويناً لكل العلوم والفنون المتعلقة به أمثال؛ علم المكي والمدني، العام والخاص، المطلق والمقيد، وعلم القراءات والأحرف

السبعة، والأقسام والأمثال، والقصص القرآني والبلاغة والإعجاز وعلم تنجيم القرآن والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، وغير ذلك من المباحث والموضوعات، فسبحان من زرع في قلوب عباده المخلصين حب الخدمة لكتابه الكريم، وما ذلك إلا لكون هذا الكتاب الخاتم معجزة ربانية للأجيال في كل عصر ومصر، ولكون هذا الكتاب كتاب الزمن كله وكتاب الإنسانية كلها إلى قيام الساعة.

لقد أجمع العلماء قديماً وحديثاً على أن أشرف العلوم على الإطلاق هي تلك العلوم التي تتعلق بكتاب الله عز وجل وتخدمه. كما أجمعوا على كون القرآن الكريم – شكلاً – من حيث رسمه وعدُّ آياته وسوره وكلماته وجمله وحروفه – ومضموناً – من حيث التشريعات والأحكام والمبادئ، معجزة إلهية لكل العصور والأمصار عجزت البشرية جمعاء عن مضاهاتها أو الإتيان بمثلها. وبناء على ما ذكر، فإنني أود التأكيد هنا على قضية مهمة جدًا، ألا وهي أن كل علم يتعلق بخدمة كتاب الله عز وجل؛ هو أيضاً علم فيه إعجاز في جانب معين لكونه متعلقاً بالكتاب المعجز، وتتضح لنا صور إعجاز هذا العلم عندما نقوم بتفكيك هذه العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم – وما أكثرها في مادة علوم القرآن – إلى جزئيات فرعية قابلة للتطبيق والتنفيذ. وبعبارة أخرى فإنني أدعو من خلال هذه الدراسة إلى منهجية جديدة للتعامل مع علوم القرآن، وذلك من خلال التوظيف الإيجابي لتلك العلوم في حياتنا العامة والخاصة، على مستوى الفرد والمجتمع والأمة، سواء ما تعلق منها بالجوانب والقضايا التربوية أو الدعوية أو الأكاديمية أو الأخلاقية. ولعل هذه البادرة الشخصية والخطوة الأولى

يكتب لها القبول والتطوير فيما بعد في الدراسات اللاحقة عن القرآن الكريم من قبل الباحثين والدراسين.

الفصل التمهيدي:

المبحث الأول: منطلقات هذه النظرة التطويرية والتوظيفية:

1- علم القراءات والأحرف السبعة
2- علم جمع القرآن الكريم وتدوينه
3- علم المحكم والمتشابه

المبحث الثاني:

1- هدف الدراسة
2- دوافع الدراسة
3- الدراسات السابقة
4- إشكالية الدراسة
5- أسئلة الدراسة
6- منهج الدراسة

تمهيد : منطلقات هذه النظرة التطويرية والتوظيفية مع ذكر ثلاث نماذج فقط

1- علم القراءات والأحرف السبعة:

من خلال تجربتي في تدريس مقرر علوم القرآن بمختلف المستويات في عدة جامعات عالمية مرموقة تولدت لدي جملة من الأسئلة حول العديد من موضوعات علوم القرآن الكريم. فمثلا في مبحث القراءات القرآنية والأحرف السبعة؛ وعند ذكر واستعراض كلام أهل العلم حول المراد والحكمة من الأحرف السبعة؛ ورد أن من معانيها هو: **التيسير والتخفيف على الشيخ الكبير والصغير والمتعلم والأمي وعامة المسلمين في القبائل العربية المختلفة**...إلخ. خلصتُ إلى النتيجة بأن الحكمة الإلهية اقتضت من خلال مسألة الأحرف السبعة والقراءات القرآنية المتعددة أن نفهم نحن المسلمين أن التيسير والتخفيف على المسلمين في إطار التشريع الإسلامي هو أمر مرغوب ومندوب إليه ومقصد إسلامي سام؛ بل قد يكون فريضة في ظل هذه الظروف الاجتماعية والإنسانية والدينية التي نعايشها.

إذن، بهذا التحليل ذي الأبعاد الفكرية والسلوكية والمنهجية وبهذا التوظيف الإيجابي لعلوم القرآن نكون قد استفدنا من علوم القرآن عامة – ومن مبحث القراءات خاصة مرتين؛ مرة في معرفة كل ما يتعلق بجهود العلماء في حفظ النص القرآني رسما

وتلاوة وتفسيرا، وهذا هو الجانب النظري المهم، وثانية نكون قد استفدنا من هذا العلم روح الإسلام ومقصده النبيل والسامي؛ ألا وهو **التيسير والتخفيف على الناس،** لأن فن التصعيب والتعقيد يجيده كثير من الناس، بينما التيسير والتخفيف وتحبيب الناس إلى الإسلام فقليل من الناس من يجيده. هذا هو الإعجاز الخفي لكل علم يتعلق بخدمة القرآن الكريم. فالرسالة التي نستخلصها من هذه النظرة التوظيفية الجديدة في كيفية التعامل مع علوم القرآن عامة هي: **العودة إلى التخفيف والتيسير** وتحبيب الناس إلى الله وإلى الإسلام من جديد. فهذه ومضات سريعة ليس مجالها للتوسع وأنما كان القصد منها هو توضيح الفكرة.[1]

2- علم جمع القرآن الكريم وتدوينه:

وما قيل عن مبحث وعلم القراءات والأحرف السبعة؛ يقال عن علم ومبحث جمع القرآن الكريم وتدوينه وحفظه. ترى ما الرسالة الخفية في هذا العلم المهم المتعلق بالقرآن الكريم؟ عرفنا تاريخ جمع القرآن، وعرفنا عدد مرات جمع القرآن، وعرفنا اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بجمع القرآن، وعرفنا القراء الشهداء في معركة اليمامة...الخ. فهذا كله متعلق بالناحية النظرية العلمية التاريخية البحتة والمتعلقة بتاريخ جمع القرآن الكريم، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: تُرى لِـمَ هذا كله؟ الجواب في هذه

[1] انظر للمزيد: *كيف نفهم التيسير – وقفات مع كتاب: إفعل ولا حرج*، تقديم معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السعد، تأليف: فهد بن سعد أبا حسين، توزيع دار المحدث، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1. (1428 هـ)

المبادرة الجديدة لتفعيل هذا العلم الجديد قائلا: إن على المسلمين التثبت والتأكد من الأخبار والشائعات وعدم تلقي كل ما يقال أو يكتب...كما أن على المسلمين أيضا التحلي بالأمانة **والمحافظة عليها وعدم تغيير أو تبديل أو تزوير في شيء من هذه الأمانات التي أؤتمنوا عليها**. لِـمَ هذا كله؟ من أين لنا هذا الدرس؟ الجواب هو: في تاريخ حفظ الصحابة والمسلمين لجمع القرآن الكريم ونقله إلينا بالتواتر وعدم نسخ أو حذف شيء منه أثناء جمعه أو حفظه إلا بإذن من الوحي الإلهي. ومن خلال النظرة التجديدية يمكننا القول: **إن أي فساد إداري أو قانوني أو علمي أو معرفي أو ثقافي يعتبر خيانة عظمى في حق الله وفي حق المسلمين عامة**، وعادة هذا الفساد يكون من شأن غير المسلمين الذين لا يتبعون شرع الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥]، فجواب المسلمين والإداريين والقانونيين والمسؤولين إذا ما طُلب منهم أي تغيير أو تزوير أو خيانة أو تحريف يكون وفقا للنص القرآني السابق : ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾، **لا تغيير ولا تبديل إلا بأمر من الله العلي الكبير أو الخليفة أو الأمير أو الكبير**...إذن من خلال هذه النظرة التجديدية نقول للفساد أيا كان نوعه: **كلا** وألف **كلا**.

3- علم المحكم والمتشابه:

وكما لا يخفى على أولي الألباب والمشتغلين بعلوم القرآن ومباحثه وموضوعاته، فإن موضوع المحكم والمتشابه يعد أحد أهم موضوعاته. وقد اختلف علماء علوم القرآن في تحديد المراد من المحكم والمتشابه وذهبوا مذاهب شتى. فمن قائل إن المحكم هو الواضح الذي لا لبس فيه ولا خلط في فهم المراد، وهذا هو الغالب في القرآن الكريم فأكثر آياته من هذا القبيل، أي لا لبس ولا خلط في فهم المراد من الآيات. فالآيات المحكمات هي الآيات الواضحات البينات هن أم الكتاب وأصل الكتاب وأساس الكتاب التي لا تحتمل أكثر من معنى ولا تفسح مجالا لأي اجتهاد أو معنى إضافي خارج الآية ذاتها. وأما المتشابه من الآيات فهو الذي يشتبه أمره وفهم مراده على بعض الناس ولا يشتبه على البعض الآخر، أو هو ما علم معناه العلماء وجهل معناه العوام، أو أن المتشابه ما له أكثر من معنى وذكروا لذلك أمثلة من الآيات القرآنية مثل: **قل هو الله أحد..**، ومثل قوله تعالى: **فاجلدوهم ثمانين جلدة**، فعدد (ثمانين) من الألفاظ المحكمة الواضحة البينة لا تخفى على أحد، ولا يفهم من (ثمانين) (سبعين أو ستين). وأما الألفاظ المتشابهة التي لها أكثر من معنى فأهل الزيغ والمشاكل والذين تلوثوا بالفكر المسموم يتبعون هذه المنهج ابتغاء الفتنة والتحريف والتضليل، وربما على أقل التقدير يبحثون عن معنى جديد ملائم إن كان هذا المعنى له علاقة بمعنى الآية (ابتغاء تأويله). فالواجب على الباحث والمسلم والطالب عند إلتباس المعنى والتردد

في معرفة معنى المتشابه هو رد هذا المتشابه (المشكل) إلى المعنى المحكم الواضح الذي لا لبس فيه للحسم في المسألة والخروج من الخلاف. فالمعنى لمحكم هو بمثابة القاضي والحكَم العدل للفصل بين معاني الآيات التي تتخاصم فيما بينها أيهما أصدق قيلا وأصدق حديثا، شهادة المركز القرآني أو معيار المركز القرآني.[2]

وأما عن كيفية تطوير وتوظيف هذا العلم والإستفادة منه في حياتنا وأفكارنا وتعاملنا مع النصوص الشرعية ومع الناس فهو أننا نعلم جميعا أن هنالك نصوصا شرعية ثابتة و واضحة لا تحتمل تفسيرات ثنائية أو جانبية فهي من قبيل المحكمات البينات الوضحات، **هن أم الكتاب وأصل الكتاب وأساسه.** فمثلا من يناقش عن موضوع وحدانية الله أو توحيد الله، أو صدق وصحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو أمر فرضية الصلاة أو الزكاة أو الصوم أو الحجاب أو الربا...الخ، فنقول إن المسائل المذكورة آنفا هي من قبيل المحكمات والأصول الثابتة في الشريعة الإسلامية فلا يجوز النقاش حولها لأنها من قبيل المحكمات والأمهات والقواعد الراسخة التي لا يجوز العبث بها أو البحث عنها.

وأما إن كانت المسائل التي يراد النقاش حولها من قبيل الأمور والقضايا الفرعية أو الجانبية (أي من الأمور المتشابهة التي لها أكثر من معنى وتحتمل أراء

[2] انظر : السيوطي، جلال الدين؛ **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1، ص 592

واجتهادات أخر) فيمكن النقاش حولها للبحث عن المعنى الأصوب أو الأحكم، مثل كيفية تحديد شكل وطريقة تطبيق مبدأ الشورى أو طريقة انتخاب الرئيس أو الخليفة أو الأمير، أو تحديد مواصفات الحجاب الشرعي أو لونه أو تصميمه وغير ذلك؛ فهذه الأمور خاضعة للعرف ويمكن النقاش حولها والبحث عن المعاني المتشابهة أو البديلة أو المحتملة شريطة أن لا تخالف أصلا من أصول الشريعة. **فها هنا تظهر فائدة توظيف المحكم والمتشابه في كيفية التعامل مع الأحكام الشرعية.**

وأما عن جانب آخر في كيفية توظيف وتطوير علم المحكم والمتشابه في العلاقات الشخصية والحكم على الأشخاص. فعندنا مثلا شخص مسلم معروف بفكره وعقيدته ومنهجه وأنه ملتزم وموضوعي ومنصف وغير ظالم. فهذه الأوصاف والمناقب من قبيل المحكمات والأصول والأسس القوية والواضحة والصفات المعروفة عن هذا المفكر أو الدكتور. لنضرب مثلا بمنهج الإمام القرطبي في تفسيره. معلوم عنه أنه يركز في تفسيره على الأحكام الشرعية المستنبطة من الآيات القرآنية، فهذا الأمر معلوم عنه بالتواتر ...هذه محكمات وأصول وحقائق تتعلق بمنهج وفكر الإمام القرطبي .

وإذا بلغنا عن الإمام القرطبي أنه حاد عن منهجه أو فكره أو عقيدته؛ فهذا يعتبر من قبيل المعاني أو الأخبار المتشابهة التي لا يمكن قبولها بإطلاق وبسهولة دون فحصها أو نقدها أو رد هذا الخبر أو المعنى إلى الأخبار المحكمة

الواضحة المعروفة عنه ومقارنتها بما هو معروف عنه، ولا نشيع هذا الخبر عنه مباشرة. فكل منا له محكمات فكرية وسلوكية ومنهجية يعرف بها، وإن شاع عنا شيء مخالف عما نحن عليه فنرد هذه الشائعات إلى المحكمات من الأصول والصفات لمعرفة وجه الصواب. **فهنا تظهر فائدة وعظمة هذا العلم وأهمية توظيفه في حياتنا.**

إذن، فتوظيف علم القرآءات القرآنية ومسألة الأحرف السبعة وعلم جمع القرآن الكريم وعلم المكي والمدني وغيره من علوم القرآن توظيفا إيجابيا في الأمور المقاصدية والدعوية والاجتماعية والإدارية والقانونية بات أمرا ضروريا. هذا هو الجديد في هذه المسألة، وهذا هو المطلوب منا معشر أهل القرآن والتفسير.

المبحث الثاني: هدف الدراسة، دوافع الدراسة، الدراسات السابقة، إشكالية الدراسة، أسئلة الدراسة، منهج الدراسة

هدف الدراسة:

الذي نهدف إليه في هذه الدراسة هو التطرق إلى أحد علوم القرآن المباركة ألا وهو؛ علم علم المكي والمدني لمعرفة كيفية توظيف هذا العلم وكيفية الاستفادة منه في المجالات المذكورة آنفاً، وأعتقد؛ أننا بهذه المنهجية الجديدة في التعامل مع علوم القرآن المختلفة، بل وحتى مع علوم السنة أو القواعد الأصولية أو الفقهية وتوظيفها

في واقعنا المعاصر؛ سنسهم بطريقة مباشرة في الخروج من عالم النظريات والمثاليات إلى عالم الانجازات والتطبيقات للأحكام والمبادئ الإسلامية، وهذه هي الثمرة الحقيقية للعلوم والمعارف؛ الشرعية منها وغير الشرعية، إذ إن ثمرة العلم: العمل به. وما أحوجنا إلى مثل هذه النقلة النوعية للتعامل مع العلوم التي خدمت القرآن الكريم قديماً وحديثاً أو التي ستخدمها في المستقبل إن شاء الله تعالى.

دوافع الدراسة:

هذه المبادرة الجديدة في التعامل مع علوم القرآن هي مبادرة شخصية محضة، حفزني إليها دافعان أساسيان: **الأول:** معايشتي وممارستي وانخراطي المباشر في مهنة الدعوة والإمامة والخطابة في بلدي الأم كوسوفا وفي بعض البلاد الغربية والخليجية والآسيوية مثل ألمانيا وسويسرا وماليزيا وسلطنة بروناي والمدينة المنورة وقطر، إن عملي المباشر في الدعوة واحتكاكي بالدعاة والعلماء من الألبان والأتراك والبوسنيين، والماليزيين والإندونيسيين والبروناويين والصينيين والهنود والباكستانيين والسعوديين والقطريين والعراقيين والسوريين واليمنيين والمصريين والسودانيين والجزائريين والمغاربة والموريتانيين والآفارقة.

الثاني: تجربتي الأكاديمية في التدريس لمادة "**علوم القرآن** " و" **التفسير**" و" **التلاوة** " و" **الإعجاز القرآني**" و"**الاتجاهات المعاصرة في التفسير**" و" **المدخل إلى القرآن والسنة** "، و" **مناهج المفسرين**" و " **التفسير الموضوعي**" "**والتفسير**

والتحليلي " وغيرها من المقررات التفسيرية، للطلاب والطالبات باللغتين العربية والإنكليزية، في مرحلتي البكالوريوس والدراسات العليا، والإشراف والمناقشة لبعض الرسائل العلمية في مرحلة الماجستير وخُطط رسائل الدكتوراه، إذن فقد مارست مهنة التدريس، ولا أزال أمارسها ولله الحمد والمنة عقدين ونيف من الزمن بالجامعات العالمية المختلفة.

الدراسات السابقة – نظرة في معاييرها

جرت سنة الله في خلقه أن لا تخلو قضية من القضايا العلمية أو الفكرية إلا أن تكون هنالك جهود ومبادرات علمية وبحثية سابقة. غير أن هذا لا يعني بحال من الأحوال أن السابقين لم يتركوا شيئاً للمتأخرين! كلا، فالأمر ليس كما قد يتوهم البعض فلكل مجاله وجهده ونشاطه الخاص في إطار حدود الجهد البشري القاصر واللا معصوم. فكم ترك الأول للآخر ؟ حدث ولا حرج! وبناء على هذه الحقيقة العلمية المتفق عليها فإنني أقول: إن شأن الباحثين أو الدراسات السابقة حول علم المكي والمدني كان من هذا القبيل.

لقد رأيت من خلال بحثي العلمي تفاوتاً نسبياً في قدرات هؤلاء الأفاضل في تناولهم لموضوع المكي والمدني. لقد تناول كل منهم هذه الجزئية العلمية من منظوره العلمي والفكري الخاص وفي ضوء اجتهاده الشخصي. غير أن نظرة فاحصة لتلك الجهود المباركة في هذ الدراسات تجعلنا ندرك تماماً بأن ثلة قليلة منهم قد تناول موضوع توظيف علم المكي والمدني في الدعوة أو التربية، بينما جاءت دراسات الأكثرين من

السابقين واللاحقين في قوالب وأشكال مختلفة دون تغيير جوهري في المضمون، كما سنرى بعد قليل.

وقد وقفت على دراسة منشورة على موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، رأيت من الفائدة العلمية الاستفادة من بعض الدراسات للمتقدمين:

1	**نزول القرآن**	للضحاك بن مزاحم الهلالي ت /104 هـ
2	**نزول القرآن**	لعكرمة أبي عبد الله القرشي البربري ت /105 هـ
3	**نزول القرآن**	للحسن بن أبي الحسن البصري ت /110 هـ
4	**تنزيل القرآن**	لمحمد بن مسلم بن شهاب الزهري ت /124 هـ
5	**التنزيل في القرآن**	لعلي بن الحسن بن فضال الكوفي ت /224 هـ
6	**فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة**	لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس ت /294هـ
7	**بيان عدد سور القرآن وآياته وكلماته ومكيه ومدنيه**	لأبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي ت /400هـ

ومن الدراسات المعاصرة المتعلقة بالمكي والمدني، أذكر:

9	**التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم – عرض ونقد**	منى محمد بهي الدين الشافعي
10	**العلمانيون والقرآن الكريم – تاريخية النص**	د. أحمد إدريس الطعان
11	**الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن الكريم – دراسة ونقد**	د. أحمد محمد الفاضل
12	**الآيات المكية: دراسة من منظور التربية الحركية**	للباحثة:زوهرياتيبنت يوسف.
13	**فقه القرآن المكي**	للباحث عبد القادر بالخضر
14	**المكي والمدني و أثرها في الدعوة**	د. عمار محمد العمار
15	**المدني والمكي – مناقشات وتعليقات**	فواز أحمد طوقان
16	**نظرة جديدة في مكي السور ومدنيها**	عبد العال الصعيدي
17	**القول الشجي في المكي والمدني**	الحسين طلعت خطاب.
18	**الخطاب الدعوي في السور المكية**	معتصم عبد الكريم المطري
19	**المكي والمدني في القرآن الكريم**	رنا أحمد القدسي
20	**المكي والمدني: الضوابط والمعطيات**	السيد سلام زين العابدين

فكما قد رأيت أن أغلب الدراسات المذكورة لها علاقة غير مباشرة وجزئية مع بحثي، وبعضها لها علاقة مباشرة، إذن، فدراسة كيفية التوظيف الإيجابي لعلم المكي والمدني والاستفادة أمر جديد وفي غاية الأهمية [3].

وعليه، **فإنني أقول**: إن دراستي العلمية للنهوض بعمل التوظيف الإيجابي لعلوم القرآن ليس تكراراً أو تحصيل حاصل، وإنما هي مبادرة إلى منهجية ورؤية جديدة. فمن خلال بحثي واهتمامي بهذا الموضوع – موضوع المكي والمدني – يمكنني القول إن الدراسات السابقة عن هذا الموضوع كانت لها معايير واعتبارات عديدة. يمكن تصنيفها كما يلي:

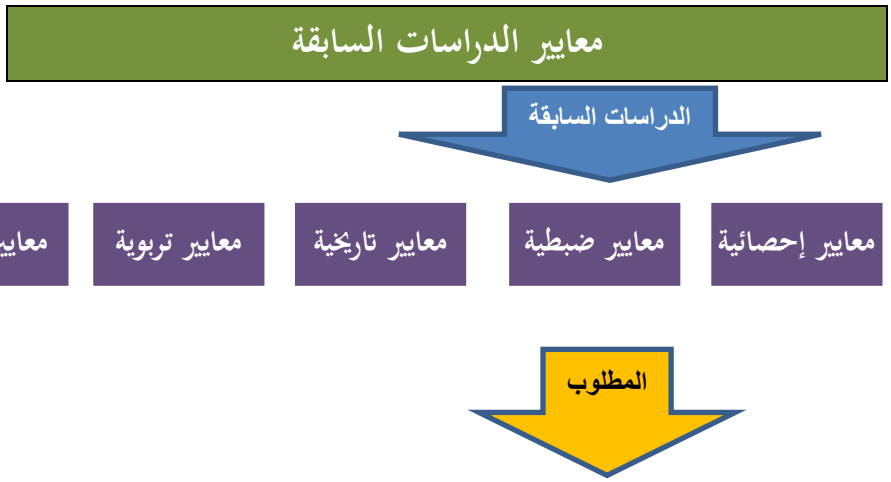

[3] انظر:

http://qurancomplex.gov.sa/Tree.asp?section=2&TabID=2&SubItemID=1&l=arb&SecOrder=2&SubSecOrder=1

الدراسات ذات المعايير التوظيفية لعلوم القرآن– وهذه الدراسة الجديدة هي النموذج المقترح

- **معايير إحصائية**، أي من حيث عدّ وإحصاء الآيات والسور المكية والمدنية والتي اختُلف عليها.
- **معايير ضبطية**، أي من حيث ذكر علامات وضوابط الآيات والسور المكية والمدنية.
- **معايير تاريخية**، أي من حيث ذكر ملابسات ومناسبات نزول الآيات والسور المكية والمدنية.
- **معايير تربوية**، أي من حيث رصد لبعض الجوانب والأساليب التربوية في الآيات المكية والمدنية.
- **معايير دعوية**، أي من حيث تحليل القضايا الدعوية التي تناولتها بعض الآيات والسور المكية والمدنية.
- **معاير مقاصدية**، أي من حيث معرفة سر تركيز القرآن على المقاصد الشرعية في الآيات والسور المكية والمدنية.

- **والمطلوب: دراسات توظيفية لعلوم القرآن الكريم**

إشكالية الدراسة:

ليست هنالك إشكالية علمية أو معرفية لهذه الدراسة في مبلغ علمي وحدود معرفتي بمعنى الكلمة للإشكالية، بقدر ما هنالك مسيس الحاجة إلى القيام بمثل هذا النوع من الدراسات التجديدية أو التطويرية لعلوم القرآن الكريم، والخروج من عالم النظريات والدخول إلى عالم الحِكم الباطنية والأسرار والدلالات المخفية لهذه العلوم المتعلقة بالقرآن على وجه الخصوص، ومع إبراز أهمية هذا النوع من الدراسات يمكن أن تكون هذه الدراسة دعوة ومبادرة لإحياء وتجديد وتطوير علوم القرآن لتحقيق معنى الإعجاز الكامل والشامل للقرآن الكريم مع كل علم يتعلق بخدمة القرآن الكريم.

إذن؛ فما الجديد في هذه الدراسة؟

إن الجديد في هذه الدراسة يكمن في أمرين اثنين، لا ثالث لهما:

الأول: في التتبع والرصد لكلام العلماء السابقين والمعاصرين حول كيفية الاستفادة من علم المكي والمدني جملة أو جزئيا، وإن كان هؤلاء جميعاً رحمهم الله لم يفردوا مصنفات خاصة حول هذا الموضوع.

الثاني: القيام بالتوظيف الإيجابي والتطبيق العملي لتلك المسائل المتعلقة بعلم المكي والمدني، مثل الإستفادة من الخصائص الأسلوبية والموضوعية للآيات المكية

والمدنية في مجال الدعوة والتربية. فانطلاقاً من هذه الحقائق، سأحاول بيان كيفية التوظيف والاستفادة من علم المكي والمدني من خلال التجربة الشخصية التي عايشتها في المجال الدعوي والأكاديمي، وأرجو من الله أن تكون هذه الدراسة أو الرؤية التطويرية لعلوم القرآن إسهاما بناء في هذا السبيل، وهي فضلاً عن ذلك تسعى بجد وإخلاص لتقترح نفسها على المهتمين بالدراسات القرآنية والعاملين في ميادين التربية والتعليم، والمنشغلين بهموم الإصلاح والتغيير، والدعوة والخطابة، الرافعين لواءه بالقرآن وعلى طريقة القرآن وهدي القرآن ومنهاجه.

أسئلة الدراسة:

هذه الدراسة محاولة جادة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- إلى أي مدى كان اهتمام المفسرين وعلماء علوم القرآن ببيان ضرورة التطوير والتوظيف الإيجابي لعلوم القرآن في الدعوة؛ خاصة لعلم المكي والمدني ؟

2- إلى أي مدى كان اهتمام المستشرقين في التوظيف السيء لعلم المكي والمدني ؟

3- ما الآثار الدعوية السلبية الناجمة عن جهل أبعاد ودلالات علم المكي والمدني ؟

4- ما النموذج المثالي المعاصر من المفسرين في بيان أبعاد ودلالات التوظيف الإيجابي لعلم المكي والمدني؟

منهج الدراسة:

سيعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج **الإستقرائي الوصفي التحليلي النقدي المقارن**. هذا، قد تم توزيع فقرات البحث ومحتوياته إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

الفصل الثاني: بيان الحاجة إلى هذه الدراسة، أهمية علم المكي والمدني مع ذكر الأهمية لمعرفة علم المكي والمدني

1- المبحث الأول: ومضات من كلام السلف الصالح حول ضرورة تطوير العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم

2- المبحث الثاني: التوظيف السيئ من قبل المستشرقين لعلم المكي والمدني

3- المبحث الثالث: أهمية علم المكي والمدني وفوائد معرفتهما مع بيان سر نزول القرآن منجما:

المطلب الأول: ذكر جهود المتقدمين

المطلب الثاني: ذكر جهود المتأخرين

الفصل الثاني: بيان الحاجة إلى مثل هذا النوع من الدراسات التطويرية لعلوم القرآن

المبحث الأول: ومضات من كلام السلف الصالح حول ضرورة تطوير العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم

إن الحاجة إلى القيام بمثل هذا النوع من الدراسات التطويرية لعلوم القرآن ماسة. ينبغي للمشتغلين بعلوم القرآن وخدمته التأمل فيها ملياً والبحث عن آليات التوظيف الإيجابي لمباحث علوم القرآن. ومما يثير الدهشة والاستغراب من تنامي الدراسات القرآنية المختلفة مع غياب دراسات علمية ومنهجية متكاملة متخصصة حول كيفية التوظيف الإيجابي لبعض العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، حتى تعم الفائدة العلمية الإعجازية للقرآن الكريم ليس فقط من خلال البحث في حكمة التشريعات القرآنية المنزلة، وإنما أيضاً من خلال البحث في كل علم يتعلق بخدمة القرآن الكريم، وقد علمتَ أن العلماء أجمعوا على أن كتاب الله عز وجل هو أشرف الأشياء على الإطلاق وأقدسها، وأشرف ما صرفت لأجله الأوقات وفنيت في دراسته الأعمار.

ورحم الله الإمام أبا بكر الباقلاني(ت 402 هـ)حينما اشار إلى بعض هذه المعاني قائلاً:

" **ومن أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه وأولى ما يلزم بحثه؛ ما كان لأصل دينهم قواماً ولقاعدة توحيدهم عماداً ونظاماً، وعلى صدق نبيهم برهاناً، ولمعجزته ثبتاً وحجة**، ولا سيما أن الجهل ممدود الرواق، شديد النفاق، مستولٍ على الآفاق، والعلم إلى عفاء ودروس، وعلى خفاء وطموس، وأهله في جفوة الزمن البهيم يقاسون من عبوسة لقاء الأسد الشتيم، حتى صار ما يكابدونه قاطعاً عن الواجب من سلوك مناهجه والأخذ في سبله. فالناس بين رجلين؛ ذاهبٌ عن الحق ذاهلٌ عن الرشد، وآخر مصدودٌ عن نصرته، مكدودٌ في صنعته. فقد أدى ذلك إلى خوض الملحدين في أصول الدين وتشكيكهم أهل الضعف في كل يقين. وقد قل أنصاره، واشتغل عنه أعوانه، وأسلمه أهله، فصار عرضة لمن شاء أن يتعرض فيه، حتى عاد مثل الأمر الأول على ما خاضوا فيه عند ظهور أمره..." [4].

فالإمام الباقلاني رحمه الله وأجزل له الجزاء، قد كفانا بكلامه السابق مؤنة حال توصيف كثير من الدراسات والتي تحسب نفسها أنها خادمة للقرآن الكريم، وهي ربما تكون بعيدة عن ذلك لانشغالها بقضايا علمية ونظرية جانبية، لا تكون لأصل دين الله قواماً، ولا لتوحيده عماداً ونظاماً، ولا لصدق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم برهاناً وبياناً، ولمعجزته حجة وقياماً. كما أنه بإمكاننا الفهم من كلام الإمام الباقلاني بأن كل علم له علاقة بخدمة القرآن الكريم سواء من الناحية البيانية أو البلاغية، هو أيضاً معجزة لكونه يخدم هذا الكتاب المعجز. فالعلاقة بينهما شديدة الاتصال غير قابلة للإنفصال. فإذا كان القرآن الكريم مفجراً للعلوم كلها – أو أن القرآن الكريم قد أشار إلى أمهات تلك العلوم – فإنني أقول إن كل علم يخدم القرآن هو أيضاً

---

[4] الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، *إعجاز القرآن*، دار المعارف – القاهرة، تحقيق: السيد أحمد صقر، ص:4

مفجر لعلوم أخر، علم ذلك من علم وجهله من جهل، لأن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ولا علومه ولا فنونه، فهو جديد على الدوام وكأنه الآن يتنزّل، وكل يوم يقول هلمّ و أقبل إلي أيها الإنسان لتجد الحياة الطيبة والسعادة الحقة والمعرفة المفقودة والعلم الجديد والمفيد. وقد اشار إلى هذا المعنى أحد المشتغلين والعاملين بعلوم القرآن بأنه خلال تدبره للقرآن الكريم استخرج عدداً من العلوم الجديدة لم يتناولها أسلافنا، مثل علم: **فن الزينة في القرآن،** والعلم الثاني هو: **فن الضحك والمضاحيك،** ثم علم آخر: **علم الأجنة**...[5].

وأما الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله تعالى(ت 471 هـ)فقد أشار إلى توظيف علم آخر من علوم القرآن فائدته لا تقل عن العلوم الأخرى المتعلقة بالقرآن الكريم؛ هو علم الأمثال أو التمثيل في القرآن الكريم، حيث بين رحمه الله أهمية هذا العلم في هذا الصدد قائلاً:

" واعلم أنّ مما اتفق العقلاءُ عليه، أن التمثيل إذا جاءَ في أعقاب المعاني، أو بَرَزَتْ هي باختصار في مَعرِضه، ونُقِلت عن صُوَرها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهَةً، وكَسَبها مَنْقَبةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس

[5] هو الشيخ الدكتور عبد القادر منصور، إمام وخطيب مسجد سيف الدولة بحلب، – والتي أسأل الله عز وجل أن يفرج عن أهل حلب وغيرها من المدن السورية في القريب العاجل إن شاء الله من شبيحة النظام الأسدي القاتل الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد وتجاوزا الصرب المجرمين في بشاعة القتل والتنكيل للعُـزّل والشيوخ والنساء والأطفال – للمزيد انظر: *موسوعة علوم القرآن*، دار القلم العربي، ط1، 2002، ص 7

لها، ودعا القُلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلَفاً، وقَسَر الطِّباع على أن تُعطيها محبّة وشَغَفاً، فإن كان مدحاً، كان أبْهَى وأفخم، وأنبلَ في النفوسَ وأعظم، وأهزَّ للعِطْف، وأسْرع للإلف، وأجلب للفَرح، وأغلب على المِمْتَدَح، وأوجب شفاعة للمادح، وأقضى له بغُرِّ المواهب المنائح، وأسْيَر على الألسن وأذكرَ، وأولى بأن تَعْلَقه القلوب وأجدر، وإن كان ذمّاً، كان مسُّهُ أوجعَ، ومِيسَمُه ألذع، ووقعُه أشده، وَحدُّه أحَدّ، وإن كان حِجاباً، كان بُرهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبَيَانه أبْهر، وإن كان افتخاراً، كان شَأْوُه أمدّ، وشَرَفه أجَدّ، ولسانه أَلَدّ، وإن كان اعتذاراً، كان إلى القَبُول أقرب، وللقلوب أخْلَب، وللسَّخائم أسلّ، ولغَرْب الغَضَبْ أفلّ، وفي عُقَد العُقود أَنْفَث، وعلى حُسن الرجوع أَبْعث، وإن كان وعظاً، كان أشْفَى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزَّجر، وأجدر بأن يُجَلِّيَ الغَيَاية، ويُبصِّر الغاية، ويُبرئ العليل، ويَشْفِي الغليل، وهكذا الحُكْم إذا استقريتَ فنُونَ القول وضروبَهُ، وتتبّعت أبوابَهُ وشُعوبه..."[6]. وكما قد رأيت، أن مثل هذا العلم وغيره من العلوم الأخرى المتعلقة بالقرآن الكريم، إذا أحسنا توظيفها في المجالات الدعوية والتربوية والتثقيفية؛ ما من شك أننا سنوفق إلى حد كبير في أداء رسالتنا الدينية في تبليغ الدعوة الإسلامية وتربية الأجيال تربية سليمة في ضوء الآيات القرآنية والعلوم المتعلقة به.

---

[6] **الجرجاني، عبد القاهر**، *أسرار البلاغة*، **مكتبة مشكاة الإسلامية على الإنترنت**، *http://www.almeshkat.net/books/open.php?book=1458&cat=16* **ص 30-31**

وقد أشار الإمام المفسر أبو السعود في تفسيره إلى أهمية هذا العلم قائلاً:

"... إنّ التمثيل ليس إلاّ إبراز المعنى المقصود في معرض الأمر المشهور، وتحلية المعقول بحلية المحسوس، وتصوير أوابد المعانى بهيئة المأنوس، لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل، واستعصائه عليه في إدراك الحقائق الخفيّة، وفهم الدّقائق الأبيّة؛ كي يتابعه فيما يقتضيه، ويشايعه إلى ما لا يرتضيه، ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية والكلمات النبوية، وذاعت في عبارات البلغاء، وإشارات الحكماء. إن التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه، وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبيّ، وقمع سورة الجامح الأبيّ، كيف لا، وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية، وإبرازها لها في معرض المحسوسات الجلية، وإبداء للمنكر في صورة المعروف، وإظهار للوحشي في هيئة المألوف..."[7].

وأما الإمام السيوطي رحمه الله (ت 911 هـ) فله كلام مهم حول هذه المسألة عندما قال قولته المشهورة:

" وبعد فإن العلم بحر زخار لا يدرك له من قرار، وطود شامخ لا يسلك إلى قنته ولا يصار، من أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولاً، ومن رام الوصول إلى إحصائه لم يجد إلى ذلك سبيلاً، كيف وقد قال تعالى مخاطباً لخلقه ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء: ٨٥]، **وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها،**

---

[7] العمادي، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى؛ **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** (ت 982)، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2006، ج1، ص 50

ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء، وأبان فيه كل هدي وغي، فترى كل ذي فن منه يستمد وعليه يعتمد، فالفقيه يستنبط منه الأحكام ويستخرج حكم الحلال والحرام، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام، وفيه من القصص والأخبار، ما يذكر أولي الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها،.."[8].

ويبدو للناظر المتأمل في كلام السيوطي رحمه الله وضوح الرسالة والمعنى التي أشار إليها، وأعتقد بأننا لا نحتاج إلى شرح وبيان لاستبيان مراده، حتى لا نعكر صفوة المعنى الواضح بالتعليق الزائد والحشو الفائض. إن وجه الدلالة من هذا الكلام يكمن في قول الإمام: "**وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها..**"، " **فترى كل ذي فن منه يستمد وعليه يعتمد..**"، وإن كان ظاهر كلامه يوحي بأنه ربما يقصد شيئاً آخر عرفنا ذلك من خلال الدراسة والتحليل لكلام العلماء السابقين حول كون القرآن مشتملاً وحاوياً لعلوم الأولين والآخرين، والمسألة مختلف فيها – ليس هذا مجال البحث –[9]، حيث إنني أرى وأبيح لنفسي القول: إن كلام الإمام السيوطي

---

[8] السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين؛ *الاتقان في علوم القرآن*، ج1، ص 18 -19

[9] وقد ناقشت هذه المسألة في رسالتي الدكتوراه باللغة العربية، الموسومة: *الاتجاهات الفكرية والدينية في الدراسات القرآنية لدى علماء الألبان في القرن التاسع عشر والعشرين* – في مبحث التفسير العلمي، والكتاب مطبوع باللغة الألبانية – ترجمة د.محمد مصطفى، ط1، 2009، دار أكرم كابي، مدينة تيتوفا – مقدونيا.

ينبغي أن يكون دافعاً ومشجعاً قوياً لنا لهذا النوع من الدراسات التطويرية حتى نرى بركات الإعجاز القرآني الشامل في الجوانب الدعوية والتربوية والسلوكية والفكرية. وما لنا لا نقوم بهذا التطوير وهذه المراجعة لتلك العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم! حتى نتأكد أن تلك العلوم التي نضجت واحترقت لا داعي لتطويرها، وإنما نبقيها للاستفادة منها إلى قيام الساعة، مثل علم النحو والقواعد والصرف والبلاغة والمعاني والبديع، ونحافظ عليها من أيدي العابثين. بينما تلك التي لم تنضج بعد، سَعَينا إلى إنضاجها من خلال التطوير وإعادة النظر في بعض أنواعها – وما أكثرها – للاستفادة منها في عصرنا.

ثم إنني أثناء مطالعتي للكتب المتعلقة بهذا الشأن، ومصداقاً لما تفضل به السابقون من العلماء، ظفرت بدراسة هي الأخرى مهمة للغاية لا تقل شأناً ولا وزناً عن أية دراسة في استنباط العلوم الجديدة في القرآن الكريم. عنوان هذه الدراسة: **علم الجمال – رؤية في التأسيس القرآني**[10].

إن الوصول إلى تصور كامل لهذه الفكرة يحتاج منا إلى بيان واضح لكيفية التوظيف الإيجابي لبعض العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم؛ كما أننا بحاجة إلى بيان الصورة المعاكسة للتوظيف السيئ والسلبي لبعض العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم من قبل جنود الدجل والتخريف– المستشرقون ومن نهج نهجهم واتبع سبيلهم–، حتى نكون على بينة من الأمر.

---

[10] للدكتور عبد العظيم الصغيري؛ **كتاب الأمة – سلسلة دورية تصدر كل شهر عن إدارة البحوث والدراسات الإسلامية – قطر**، العدد 151، رمضان 1433 هـ.

ولعل الجواب يكمن في نظرتنا إلى طريقة أعداء الإسلام وتحليل أساليبهم في تعاملهم مع القرآن الكريم من خلال التوظيف السيئ والمذموم لكثير من العلوم والقضايا القرآنية، للنيل من هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

المبحث الثاني: التوظيف السيئ من قبل المستشرقين لعلم المكي والمدني

إجابة عن السؤال السابق حول التوظيف السيئ لكثير من علوم القرآن من قبل الخادمين المخلصين لإبليس وجنوده من الإنس؛ خادمي الاستعمار والتبشير والتنصير والعولمة والعلمنة والإلحاد والصهيونية والماسونية، فقد رأيناهم للأسف الشديد قد سبقونا من خلال الجهود الفردية أو المؤسسية إلى توظيف علم المكي والمدني لأغراض دنيئة، بغية الطعن والتشكيك في مصداقية القرآن المكي والمدني، سواء ما تعلق منها بأسلوب الآيات أو خصائصها الدعوية والبلاغية.

إن مسالك[11] المستشرقين للنيل من كتاب الله عز وجل والتشكيك فيه قد تعددت وتنوعت لإثبات مقررات سابقة، وقد اعتمد أكثرهم المنهج الذاتي[12]، وهو يقوم على استحضار المستشرق لانتماءاته الفكرية والثقافية والعقدية السابقة سواء أكانت دينية، أم علمية أم تاريخية، عند دراستهم لمباحث العلوم الإسلامية، بحيث جاء نتاجهم وبدرجات متفاوتة، مستجيباً وموافقا لثقافاتهم، لا لما تفرضه الدراسة العلمية للمصادر الإسلامية من نظريات ورؤى. [13]

وأما عن طريقة الطعن وكيفية ولوج المستشرقين إلى باب علم المكي والمدني، فقد سلكوا في ذلك منهج أجدادهم أساتذة الدجل والخرافات من أمثال:

1- ريجس بلاشير[14] Regis Blachere في كتابه (**القرآن**)،

2- ثيودر نولدكة Theodor Noldeke في كتابه (**تاريخ القرآن**)،

---

[11] انظر أيضاً: برجستراسر، جوتهلف؛ *أصول نقد النصوص ونشر الكتب* – محاضرات المستشرق الألماني ألقاها بكلية الآداب عام 1932 من إعداد وتقديم: محمد حمدي البكري، ط2، 1995، مكتبة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ص 10 -35

[12] انظر أيضاً: أبو ليلة، محمد محمد؛ *القرآن من المنظور الاستشراقي*، ط1، 2002، درا النشر للجامعات، مصر، ص 191- 231، 237 - 254

[13] انظر: العيص، زيد بن عمر: *المكي والمدني في عيون المستشرقين*، ص 8 – 9

[14] راجع سلسلة المقالات المتعلقة بمنهج هذا المستشرق في *http://www.alukah.net/sharia/0/44563/* ...تم تصفح الموقع 25/10/15 بعد الظهر.

3- إغناز غولد تسيهر Ignaz Gold Tsiher في كتابه (**مذاهب التفسير الإسلامي**)،

4- وجوزيف شاخت Joseph Schacht في كتابه (**أصول الفقه المحمدي**)،

5- ووليام موئير William Muir وكتابه (**القرآن: تأليفه وتعاليمه**) ،

6- وريتشارد بل Richard Bell وكتابه: (**المدخل إلى القرآن**)،

7- ومكسيم رودنسون Maxim Rodinson وكتابه: (**حياة محمد**) غيرهم كثير،

وعوَّل المستشرقون كثيراً على الفروق بين المكي والمدني، حتى قالوا إنها تدل على وجود قرآن – يقصدون قرآنا متناقضا – مكي، وآخر مدني تنقطع الصلة بينهما [15]، من حيث الأسلوب والمضمون، وهو ما رَوّجَ له بلاشير Blachere في كتابه (**القرآن**)، وهو ما يعني عندهم تأثر القرآن الكريم بالبيئتين المكية والمدنية، وما بينهما من تفاوت ظاهر، الأمر الذي يدل بزعمهم على بشرية القرآن، وهي الفرية التي ما فتئ المستشرقون حولها

[15] حول تخبط وتشكيك بعض المستشرقين والمبشرين العرب حول مسألة الآيات المكية والمدنية.. من أمثال: الخوري الحداد وغيرهم، انظر ردود الأستاذ الشيخ محمد عزة دروزة رحمه الله في كتابه الموسوم بـ: *القرآن والمبشرون*، ط3، المكتب الإسلامي، 1978، دمشق، ص: 94-115

يدندنون، وأن السور المكية فيها عنف، وشدة وسباب[16]، وتقريع لأهل مكة، وهذا يدل على تأثر النبي صلى الله عليه وسلم بالبيئة المكية، وتكيَّف حديثه مع ما يمتاز به أهل مكة من غلظة وجهل وعناد...!!، وسعى المستشرقون إلى تضخيم هذه الخصائص، وإلى توظيفها بطريقة سيئة[17].

فكما رأينا من تلك النماذج السابقة من الدراسات الإستشراقية أنهم لم يغادروا صغيرة ولا كبيرة في أي علم يتعلق بالقرآن الكريم إلا قد أحصوها وصنفوا المصنفات عنها، حتى يتمكنوا من خلالها زرع المطاعن والشبهات ونشرها في عقول المثقفين من المسلمين أو غيرهم. فعملهم هذا ينبغي أن يؤخذ بعين الإعتبار وعدم الإستخفاف بها.

ولعل سر اهتمامهم بتلك القضايا القرآنية يظهر ويبين أهمية فكرنا ومبادرتنا في هذه الدراسة، وقد فطنت إلى أهمية هذه المسألة قبل أن أطلع على جهودهم السابقة ولله الحمد والمنة.فالغرض من ذكرنا لهذا الكلام هو الإشارة فقط، وليس المناقشة لتلك الشبهات المثارة حول المكي والمكي، لأن مجال

---

[16] انظر: العيص، زيد بن عمر: *المكي والمدني في عيون المستشرقين*، ص 8 – 9؛ وانظر: البوطي، محمد سعيد رمضان؛ *كبرى اليقينيات الكونية*، ط9، 1997، دار الفكر المعاصر، دمشق، ص 31 -74

[17] لقد رأيت ردوداً علمية مقنعة قوية حول هذه الشبهات المثارة حول المكي والمدني من الآيات عند كل من الشيخ الدكتور محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه: *مناهل العرفات في علوم القرآن*، و الشيخ د. أحمد محمد الفاضل في كتابه: *الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن*، والدكتور أحمد إدريس الطعان في كتابه: *العلمانيون والقرآن الكريم*، والأستاذة الباحثة منى محمد بديهي في كتابها: *التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم*، فجزاهم الله خير الجزاء.

دراستنا ليس هذا، ولكن الغرض هو الانتباه إلى خطورة هذا التوظيف السيء من قبل هؤلاء. فما على المسلمين إلا القيام بالتوظيف الإيجابي لهذه العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم وأسلوبه وتاريخه وقصصه ومعانيه، عسى الله أن يجعل بيننا وبين الذين هجروا القرآن تلاوة وتدبرا وعملا أن يعودوا إليه مجددا.

المبحث الثالث: أهمية علم المكي والمدني وفوائد معرفتهما مع بيان سر نزول القرآن منجما

لم ينزل القرآن الكريم جملة واحدة ولكنه نزل مفرقاً حسب الوقائع والتساؤلات والأحداث، وكان لهذا النوع من التنزيل جملة من الأحكام والأسرار والدروس والعبر[18]. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢][19].

مما لا شك فيه أن نزول القرآن الكريم منجماً احتوى أسراراً وحكماً دينية واجتماعية وتربوية وفكرية كثيرة. ذكر الإمام السيوطي رحمه قائلا إن: " العادة تمنع

---

[18] انظر دراستنا باللغة الإنكليزية من ضمن أعمال المؤتمر العالمي في اليابان بعنوان:
The Wisdoms behind the gradual revelation of the Noble Qur'an: Religious, Spiritual, Social and Educational wisdoms – International Coneference on Religion, Ethics and Philosophy- Osaka –Japan 28-30 March 2012

[19] انظر دراستنا بعنوان: *نحو منهج قرآني تدريس العلوم الشرعية – نزول القرآن الكريم منجما*، من ضمن أعمال المؤتمر العالمي بعنوان: **دراسات أصول الدين في مؤسسات التعليم العالي – التحديات والآفاق**، 3-4 ابريل 2011، بكلية أصول الدين – جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية بسلطنة بروناي.

أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحونه فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم.." [20].

ويعقب الأستاذ سيد قطب رحمه الله في بيان الحكمة من نزول القرآن منجماً قائلاً:

" لقد جاء هذا القرآن ليربي أمة وينشئ مجتمعاً ويقيم نظاماً، والتربية تحتاج إلى زمن و إلى تأثير وانفعال بالكلمة وإلى حركة تترجم التأثير والانفعال إلى واقع، والنفس البشرية لا تتحول تحولاً كاملاً شاملاً بين يوم وليلة بقراءة كتاب كامل شامل للمنهاج الجديد، إنما تتأثر بعد يوم بطرف من هذا المنهاج وتتدرج في مراقيه رويداً رويداً وتعتاد على حمل تكاليفه شيئاً فشيئاً فلا تجفل كما تجفل لو قدم لها ضخماً ثقيلاً عسيراً وهي تنمو في كل يوم بالوجبة المغذية فتصبح بالتالي أكثر استعدادا للانتفاع بالوجبة التالية و أشد قابلية لها و التذاذا بها.." [21].

ويشير الإمام الطاهر بن عاشور إلى كلام الإمام الزمخشري في بيان الحكمة من التنجيم:

" وجاء في بيان حكمة إنزال القرآن منجماً بكلمة جامعة وهي﴿ نثبت ﴾ لأن تثبيت الفؤاد يقتضي كل ما به خير للنفس، فمنه ما قاله الزمخشري: الحكمة في تفريقه أن نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه، لأن المتلقن إنما يقوي قلبه على

---

[20] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن؛ *الإتقان في علوم القرآن*، ج2، ص:469

[21] قطب، سيد؛ *في ظلال القرآن*: ج 5 ، ص: 2562

حفظ العلم يلقى إليه، إذ ألقي إليه شيئاً بعد شيء وجزءاً عقب جزء، وما قاله أيضاً " أنه كان ينزل على حسب الدواعي والحوادث وجوابات السائلين" اهـ، أي فيكونون أوعى لما ينزل فيه لأنهم بحاجة إلى علمه، فيكثر العمل بما فيه وذلك مما يثبت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ويشرح صدره...وقلت: إن نزوله منجماً أعون لحُفَّاظِه على فهمه وتدبره" [22].

وبما أننا في هذا المبحث نتحدث عن نزول القرآن في المرحلة المكية والمدنية فلا بأس أن نشير إشارة سريعة دون الإستدلال بالآيات القرآنية إلى أهم الحكم والأسرار من ظاهرة نزول القرآن منجما:

1. تفخيم شأن القرآن وشأن من نزل عليه وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وشأن من سينزل إليهم وهي الأمة الإسلامية [23].
2. تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم لمواجهة التحديات والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والأخلاقية الصعبة، وحثه على الصبر أمام السلوكيات القمعية التي كان يتعرض لها من قبل المشركين. فالله عز وجل كان يقص عليه أنباء الرسل السابقين من أولي العزم وغيرهم حتى يقتدي بهم صلى الله عليه وسلم..،
3. ففي التنجيم تقوية لقلبه صلى الله عليه وسلم وتسلية له، وتجديد لعهده مع جبريل عليه السلام لكي يكون القرآن الكريم له نافذة أمل وبسمة رجاء يمده بالقوة

---

[22] ابن عاشور، الطاهر محمد؛ *التحرير والتوير*، ج19، ص 44

[23] القطان، مناع؛ *مباحث في علوم القرآن*: ص 52 ، أبو شهبة، محمد؛ *المدخل لدراسة القرآن الكريم*، ص 53، 69

ويعده بالنصر مرة بعد مرة، لأنه صلى الله عليه وسلم بشر مثلنا، يصيبه ما يصيبنا من الحزن والفرح والضعف والقوة والهم والغم والموت والحياة..،

4. بيان تناقضات المشركين وتهمهم الباطلة في حق الرسول صلى الله عليه وسلم وحق القرآن الكريم. لقد سجل لنا القرآن الكريم تلك الافتراءات إلى قيام الساعة، فتارة قالوا ساحر وتارة مجنون، وأخرى كذاب أشر....إلخ.

4- يتبين من خلال هذا النزول المنجم سلوك الصحابة الكرام وطليعة الجيل الإسلامي الأول وكيفية تعامله وتفاعله مع القرآن الكريم...،

5- تصويب حركة التطبيق والتنفيذ أو الدلالة على مواطن الخطأ ووجوه التقصير في تنفيذ الأحكام والتشريعات[24]، أو وجود ضعف في صفوف المسملين...،

6- إثبات مصدر القرآن وأنه تنزيل من حكيم حميد، لا بدليل أسلوبه ونظمه وعدم اختلاف مضمونه فقط، بل بدليل وقوع الأحداث والبشائر على النحو الذي تحدث عنه القرآن وأشار إليه طلية عصر التنزيل...، [25].

7- مسايرة الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها. فكلما جدت حادثة أو وقعت واقعة نزل القرآن حَكَماً عدلاً في فصل القضية، وتشتمل هذه الحكمة أمرين اثنين: أولاها: إجابة السائلين على أسئلتهم عندما يوجهونها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في شتى المجالات، ومن خلال تنجيم القرآن تَبيَّن لنا حال المؤمن حينما كان يستفتي و يسترشد، و تبين لنا حال المكذب حينما كان يستشكل و يجادل[26].

8- هناك سر لغوي أو لطيفة بلاغية في قوله تعالى:﴿ ورتلناه ﴾ هي: أن الترتيل هو التمهل والتأني في الكلام والتبيين له للتمكين والتحقيق وبناء المعرفة في

---

[24] انظر: زرزور، عدنان؛ *مدخل إلى تفسير القرآن و علومه*: ص 97 - 98

[25] انظر: دراز، عبد الله؛ *النبأ العظيم*: ص61

[26] انظر: المرجع السابق، ص 139 - 162

المتلقين بناء تكاملياً، وذلك لا يحصل بإنزاله جملة واحدة، بل يحصل بإنزاله في دروس تعليمية قسماً بعد قسم مع الاستفادة من الأحداث والمناسبات. [27].

9- تسهيل حفظ القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم و المؤمنين كلون من ألوان الحفظ الذي تكفل الله تعالى بحفظ القرآن، حيث إنه صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فنزوله منجماً ساعد الرسول على تدبره وحفظه، بل حتى هذا القدر اليسير الذي كان يتنزل عليه في فترات مختلفة كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخشى من ذهابه ونسيانه..،

10- إن من حكم هذا التنجيم في نزول القرآن الكريم رسم وانعكاس صورة المجتمع الآخر أو الفئات الثانية من المنافقين والمشركين وفضح سرائرهم ونواياهم مؤامراتهم[28]، وموالاة تقريع الكفار بالحجة بعد الحجة وتجديد تذكيرهم بانحرافهم وسوء عقيدتهم، ولو نزل القرآن دفعة واحدة لواجه الكفار التقريعات وتألموا لها أول مرة ثم ألفوها ونسيها الناس...،[29].

11- التدرج في التشريع والتكليف وإزالة المنكرات والظواهر السلبية، وذلك في الأمور المتمكنة من الأفراد والمجتمع، لاسيما المجتمع الجاهلي حتى يتخلى عن مفاسده والعادات المتعلقة بأخلاقهم وعقيدتهم فإنه لابد من الوقت والمهلة، لأنه من العسير جداً تغييرهم في وقت قصير والوقت الكافي عامل مهم في العلاج وتربية الأمة الناشئة وإعدادها لبنة لبنة بحيث يتم بناء الأمة في نهاية المطاف من خلال الهدي الإلهي...،[30]

---

[27] انظر: الميداني، عبد الرحمن حبنكة؛ *تدبر سورة الفرقان*: ص: 176 - 178

[28] زرزور، عدنان؛ *مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه*: ص:89 – 92، طعيمة، صابر؛ هذا القرآن قصة الذكر الحكيم: ص: 27-25

[29] أبو سليمان، صابر حسن محمد؛ *روائع البيان في علوم القرآن*:ص: 41 - 42

[30] انظر: زرزور، عدنان؛ *مدخل إلى تفسير القرآن*: ص: 92

12- الانتقال المتدرج من الأحكام المؤقتة أو المرحلية إلى الأحكام النهائية الدائمة المستقرة، وقد حدث هذا في حكم الجهاد بالسيف حيث إنه لم يكن مأذوناً به أول الأمر في مكة ثم نزل الإذن بالقتال في أول عام بعد الهجرة، ثم بعد ذلك نزل ما يدل على وجوب الدفاع عن النفس بالقتال.[31]

13- إن في تعدد النزول وأمكنته مبالغة في نفي الشك عن القرآن و زيادة للإيمان به وباعثاً على الثقة فيه، لأن الكلام إذا سجل في سجلات متعددة وصحت له وجودات كثيرة، كان ذلك أنفى للريب عنه و أدعى إلى تسليم ثبوته و أدنى إلى وفرة الإيمان مما لو سجل في سجل واحد أو كان له وجود واحد[32]. فمن القرآن ما نزل ليلاً ونهاراً، وصيفاً وشتاء، في السلم والحرب [33]، ومكة والمدينة، وتبوك وحديبية وعرفات وبدر وأحد...الخ.

14- ذكر الإمام الشوكاني قول النحاس رحمه الله قائلاً: " وقال النحاس وكان ذلك أي إنزال القرآن منجماً من أعلام النبوة لأنهم لا يسألونه عن شيء إلا أجيبوا عنه وهذا لا يكون إلا من نبي، فكان ذلك تثبيتاً لفؤاده و أفئدتهم " [34].

واستمر نزول الوحي على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة وعشرين عاماً مفرقا في كلتا المرحلتين؛ المكية والمدنية. فعلم المكي والمدني وسائر علوم القرآن الكريم والتفسير والنحو والقواعد واللغة علم البلاغة والبيان والبديع...إلخ، لم تكن موجودة في عصر نزول القرآن الكريم ولا في حياة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، لأنهم

---

[31] ابن القيم، *زاد المعاد*، ج1، ص 30

[32] الزرقاني، عبد العظيم: *مناهل العرفان في علوم القرآن*: ج 1، ص 39 - 40

[33] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن؛ *الإتقان في علوم القرآن*، ج 1، ص 27

[34] الشوكاني، محمد؛ *تفسير فتح القدير*، ج 4، ص: 74

كانوا شهود عيان لنزول الآيات وكانوا أهل لسان وبيان وفصاحة وكلام، ولم يكونوا يحتاجونه بطبيعة الحال إلى تلك العلوم. كيف وهم يشاهدون نزول الوحي ومكانه وزمانه وأسبابه عياناً وليس بعد العيان بيان، كما أشار إلى ذلك بعض أهل العلم [35].

ثم تولى الله عز وجل حفظ القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر: ٩]، ويشمل هذا الحفظ الإلهي علم المكي والمدني اقتضاء كما أنه يشمل حفظ السنة المطهرة، لأنها شارحة ومبينة ومفصلة للقرآن الكريم. ولا يتسنى للمسلم الاستفادة الكاملة من هذا التنزيل الا بمعرفة أسباب وأماكن وملابسات نزول الآيات[36]. فمن هذا الحفظ الإلهي نستنبط بعداً ثقافياً عريقاً ألا وهو سعي الأمم إلى المحافظة لتراثها الفكري ومقوماتها الحضارية. فالقرآن الكريم هو الكتاب الذي قامت الأمة الاسلامية على أساسه، ولذا واجب علينا نحن المسلمين الاعتناء بكل ما هو سبب لبقاء هذه المعجزة الخالدة؛ من علم أسباب النزول وعلم التجويد وعلم المكي والمدني وعلوم اللغة وغيرها. ويلاحظ أهمية هذا البعد الثقافي والعلمي في قول ابن مسعود رضي الله عنه عندما قال: "*والله الذي لا إله غيره، ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت. ولو أعلم أن أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه*"[37].

---

[35] الزرقاني، محمد عبد العظيم؛ *مناهل العرفان في علوم القرآن*، ج1، ص196

[36] وبعض أهل العلم أطلق على علم المكي والمدني: **علم أزمنة النزول وعلم أمكنة النزول**.

[37] انظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن)*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط3، 1425 هـ، رقم الحديث:3088

المطلب الأول: أهمية علم المكي والمدني من منظور بعض العلماء المتقدمين

لم أجد – في حدود بحثي – للعلماء السابقين كتابات مستقلة حول كيفية التوظيف للعلوم القرآنية عامة وعلم المكي والمدني أو علم تنجيم القرآن وكيفية الاستفادة منها في المجالات المختلفة، إلا ما ندر، سواء ما تعلق منها بالمجال الدعوي أو التربوي أو المقاصدي. كل الذي وجدته لدى كثير منهم أنهم قد تناولوا مباحث علم المكي والمدني في ذكر وبيان كيفية معرفتهما وبيان ضوابطهما وأسلوبهما والطريق الموصلة إليهما وخصائصهما الموضوعية أو البلاغية.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد الإمام القرطبي رحمه الله في خطبة كتابه "***الجامع لأحكام القرآن***"، مبيناً علوّ شأن المفسرين وفيما ينبغي على مفسِّر القرآن أن يعلمه قائلاً:

"وينبغي له أن يعرف المكي من المدني، ليفرق بين ما خاطب بين الله به عباده في أول الإسلام وما ندبهم إليه في آخر الإسلام ، وما افترض الله في أول الإسلام ،

وما زاد عليه من الفرائض في آخره. فالمدني هو الناسخ للمكي في أكثر القرآن، ولا يمكن أن ينسخ المكي المدني؛ لأن المنسوخ هو المتقدم في النزول قبل الناسخ له..."[38].

ثم وجدت الإمام الشاطبي رحمه الله في موسوعته الأصولية والفقهية والتفسيرية " *الموافقات*" قائلاً :

" المسألة الحادية عشرة: المدني من السور ينبغي أن يكون منزلًا في الفهم على المكي، وكذلك المكي بعضه مع بعض، والمدني بعضه مع بعض، على حسب ترتيبه في التنزيل، وإلا لم يصح، والدليل على ذلك أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكي، كما أن المتأخر من كل واحد منهما مبني على متقدمه، دل على ذلك الاستقراء، وذلك إنما يكون ببيان مجمل، أو تخصيص عموم، أو تقييد مطلق، أو تفصيل ما لم يفصل، أو تكميل ما لم يظهر تكميله "[39].

---

[38] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر؛ *الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان*، تحقيق:د/عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006، ج1، مقدمة الكتاب، ص 4

[39] بالشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير (المتوفى 790هـ)، *الموافقات*، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1997م، ج4، ص 256. هذا ومما يجدر ذكره في هذا المقام هو أني وقفت على دراسة مهمة لمباحث علوم القرآن عند الإمام الشاطبي، قام بها د. شايع بن عبده بن شايع الأسمري، عضو هيئة التدريس بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بعنوان: *مع الإمام الشاطبي في مباحث من علوم القرآن وتفسيره*، حيث رصدت هذه الدراسة المباركة جل القضايا المتعلقة بالقرآن الكريم وتفسيره و شروط المفسر من منظور الإمام الشاطبي فارجع إليها إن شئت.

وقد تناول الإمام بدر الدين الزركشي في موسوعته القرآنية "*البرهان في علوم القرآن*"،[40]. هذا الموضوع بأبعاده المختلفة تأصيلاً وتنظيراً، إلا أنه رحمه الله لم يتطرق إلى مسألة توظيف علم المكي والمدني لأغراض وأهداف دعوية وتربوية ومن جملة الفوائد في معرفة علم المكي والمدني نذكر:

1- تمييز الناسخ من المنسوخ.
2- معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام.
3- تعميق الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد.
4- تعزيز الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالما من التغيير والتحريف.
5- معرفة اهتمام المسلمين بعلم المكي والمدني، حتى ليعرفون ويتناقلون ما نزل منه قبل الهجرة وما نزل بعدها وما نزل بالحضر وما نزل بالسفر وما نزل بالنهار وما نزل بالليل وما نزل بالشتاء وما نزل بالصيف وما نزل بالأرض..[41].

بينما وجدنا الإمام السيوطي رحمه الله قد تناول موضوع المكي والمدني تقريباً بالطريقة نفسها التي تناولها الإمام الزركشي دون التطرق إلى مسألة توظيف لعلم المكي والمدني أو غيرها من العلوم الأخرى لأغراض دعوية وتربوية[42].

---

[40] انظر: *البرهان في علوم القرآن* للإمام الزركشي، ج1، 168

[41] *البرهان في علوم القرآن*، ج1، ص 187-188

[42] انظر: *الإتقان في علوم القرآن*، ج1، 34-74

أما الإمام بن عقيلة المكي في موسوعته القرآنية" **الزيادة والإحسان في علوم القرآن** "[43]، أيضاً لم أجد فيها ما يروي ظمئ حول هذه المسألة. حتى هذه الدراسة المباركة التي ظفرت بها والموسومة بـ: "**علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير**" ، للشيخ محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي،لم أجد فيها شيئاً عما أنا يصدده.

وأخيراً وقفت على دراسة أخرى بعنوان: " **علوم القرآن عند ابن عبد البر** " فلم أجد فيها شيئاً عن موضوع التوظيف الإيجابي لعلوم القرآن لأغراض دعوية أو تربوية. هذا فيما يتعلق بجهود هؤلاء المتقدمين من السلف حول هذه المسألة، وكما رأيت أنهم لم يدرسوا هذه القضية التي أنا بصددها، والله أعلم.

المطلب الثاني: أهمية علم المكي والمدني من منظور بعض المفسرين المعاصرين

أما فيما يتعلق الأمر بجهود بعض المعاصرين حول هذا الموضوع، فأقول: لقد عدت إلى "**تفسير المنار**" للشيخ رشيد رضا رحمه الله للبحث في المقدمات المهمة التي ذكرها في تفسيره ، والتي يجب توافرها لدى المفسر قبل تفسيره لكتاب الله، فلم أظفر فيها بشيء مما كنت أبحث عنه للأسف[44]. ثم إني تابعت مسيرة البحث في " **تفسير**

---

[43] انظر: بن عقيلة، *الزيادة والإحسان في علوم القرآن*، ط1، 2006، من مطبوعة كلية الشريعة – جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 1، 268،

[44] انظر: رضا، السيد محمد رشيد؛ *تفسير المنار*، ط2، دار المنار بالقاهرة، 1947، ص 17

الشيخ أحمد المراغي"، أيضاً فلم أجد أثراً عن ضالتي وفكرتي العلمية[45]. واصلت مسيرتي البحثية في تفسير" **التحرير والتنوير** " للعلامة الطاهر بن عاشور آملاً أن أجد شيئاً في المقدمات العشرة التي أفردها في تفسيره قبل الشروع في تفسير القرآن، فلم أجده رحمه الله قد تناول شيئاً عن المكي والمدني[46]. ثم قمت بمراجعة كتاب" **مقدمة التفسير المسمى نزل كرام الضيفان في ساحة حدائق الروح والريحان**"[47] للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، فلم أجد فيه أيضاً شيئاً عما أنا بصدد البحث عنه. أما الشيخ المفسر محمد عزة دروزة رحمه الله، فقد أشار في تفسيره"**التفسير الحديث**" إلى تميز أسلوب المكي من أسلوب المدني، وأن أسلوب المكي متصل بالدعوة إلى المكارم الاجتماعية والروحية والإنسانية والتحذير من الآثام والفواحش؛ أسلوب دعوة وحض وتشويق وتنديد وتنويه. كما أن من أسلوب المكي اللهجة الخطابية القوية النافذة إلى الأعماق والقارعة للأسماع والقلوب، كما يغلب على الأسلوب المكي وصايا الصبر والتطمين والتسكين وعدم المبالاة بمواقف الكفار. وأما الأسلوب المدني ففيه ذكر للمبادئ والتكاليف التعبدية

---

[45] انظر: المراغي، أحمد مصطفى؛ *تفسير المراغي*، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، 1946، ص 24 -30

[46] انظر: بن عاشور، محمد الطاهر؛ *تفسير التحرير والتنوير*،ط1، الدار التونسية، 1984، تونس، ص:10-130

[47] ط1، 2001، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.

والأخلاقية والاجتماعية والقضائية والسلوكية بصبغة التقنين والتقعيد، والاستفتاءات والأسئلة القضائية والاجتماعية والأخلاقية والأسروية وأجوبتها التشريعية..[48].

بينما دراسة الأستاذ الشيخ د.صبحي صالح رحمه الله بعنوان "**مباحث في علوم القرآن**"، فقد ألفيت عنده طرحاً جديداً لعلم المكي والمدني وعلم تنجيم القرآن. وفي موضوع المكي والمدني أشار إلى أن كلتا المرحلتين كان لهما مراحل ابتدائية ووسطية وختامية — ولعله رحمه الله استقى هذه الفكرة من كلام الإمام أبي القاسم النيسابوري رحمه الله – وأن علم المكي والمدني بحاجة إلى تمحيص الروايات وتحقيق النصوص والتحاكم إلى التاريخ الصحيح، وهذا العلم أحوج إلى هذا من علم أسباب النزولن وأن كل سورة من سور القرآن معلوم الهوية و واضحة السيرة، فإذا اختلطت بغير زمرتها أخضعها العلماء الثقات لمقاييسهم النقدية الدقيقة، لأن علم المكي والمدني في آن واحد؛ **ترتيب زماني، وتحديد مكاني، وتبويب موضوعي، وتعيين شخصي**، وبهذا المنهاج التاريخي الزمني الذي لا يتغاضى عن الآفاق النفسية والأطوار الاجتماعية، ولا يتجاهل أثر البيئة في الحياة والأحياء، شددوا في مأخذهم به حتى منعوا الجاهل بمراحل الدعوة الإسلامية أن يتصدى لكتاب الله مفسراً لآياته أو خائضاً فيه[49]، كما ورد ذلك عن الإمام أبي القاسم النيسابوري. وهذا الاهتمام الكبير من المسلمين بالرواية والروايات وتمحيصها وتدقيقها وضبطها في ترتيب السور والآيات القرآنية تبعاً

---

[48] دروزة، محمد عزة؛ *التفسير الحديث – ترتيب السور حسب النزول*، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ص 126 -127

[49] صالح، صبحي؛ *مباحث في علوم القرآن*، ص 168 - 169

لتطورات الدعوة وأدق جزئياتها جعل المستشرقين يدعون بالويل والثبور على الرواة والروايات ويشككون في مدى إمكان ترتيب القرآن اعتماداً على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم[50].

أما دراسة أ.د.الشيخ محمد محمد أبو شهبة، قد اشتملت على قضايا مهمة، غير أنها لم تتطرق إلى هذه الجزئية التي أنا بصددها. لقد اشتملت على ردود بعض الشبهات إجمالاً دون تسمية القائلين أو تحديد[51] مصادر تلك الشبهات. وفي جهود الشيخ مناع القطان رحمه الله في كتابه "**مباحث علوم القرآن**" لا جديد فيها بهذا الاعتبار حول هذه المسألة، اللهم إلا إشارات في مسألة الحكم والعبر من نزول القرآن الكريم منجماً [52]. وأما دراسة أ.د. عدنان زرزور حفظه الله في كتابه "**علوم القرآن إعجازه وتاريخ توثيقه** " فقد رأيت عنده إشارات مختصرة عن هذه المسألة التي أنا بصددها. إذ أشار إلى أهمية فهم المواقف والأحوال والوقوف على خطوات التربية والبناء، حيث أن هذا العلم فيه تمهيد لمعرفة الخصائص البيانية والأسلوبية للمكي

---

[50] انظر المرجع السابق، بتصرف، ص 169، 184

[51] انظر: أبو شهبة، محمد محمد؛ *المدخل لدراسة القرآن الكريم*، ط2، 2001، دار اللواء، بيروت، لبنان، ص 219 – 261،

[52] انظر: القطان، مناع؛ *مباحث في علوم القرآن*، ط5، 2002، مؤسسة الرسالة، بيروت.

والمدني، مبيناً أن موضوع الآيات المكية العقيدة بينما موضوع الآيات المدنية الشريعة؛ والإسلام والقرآن: عقيدة ونظام وتشريع وأحكام[53].

وأما بالنسبة لفئات الناس الذين يستفيدون من علم المكي والمدني وكيفية توظيفهم لهذا العلم. نقول إن الناس لهم مذاهب شتى في كيفية التوظيف لهذا العلم، وكل حسب طاقته الفكرية والمعرفية. فالعلماء الراسخون في الشريعة والدعوة لهم طرقهم ومناهجهم في كيفية التوظيف لهذا العلم. وأصحاب التخصص الدقيق في التفسير وعلوم القرآن لهم طرقهم ومناهجهم في كيفية التوظيف. وعموم طلاب العلم الشرعي لهم أساليبهم. وعامة الناس أيضاً لهم طرائقهم في كيفية التوظيف لهذا العلم. إذن؛ ليس هذا العلم خاصة بفئة دون غيرها، إنما الناس في ذلك سواء والله أعلم.[54].

إن معرفة علم المكي والمدني يشكل عماداً قوياً يستند اليه كل داعية الى الله عز وجل في معرفة أسلوب الدعوة وألوان الخطاب والتدرج في الأحكام والتكاليف والبناء والتكامل. والدعوة الى الله عز وجل فنٌّ نبوي راقٍ، ومهنة شريفة وعمل مقدس، لها ذوق قرآني خاص، لا يعرف طعمها ولا يذوق حلاوتها إلا من عاش في حديقتها وتحت ظلال أشجارها، وتكيف بهوائها الطلق وشرب من مائها العذب. إنها تحتاج الى نهج خاص في أسلوبها إزاء كل فساد في العقيدة والتشريع والخلق والسلوك. ولا

---

[53] انظر: زرزور، عدنان؛ *علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه*، ط1، 2005، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ص 211 -213

[54] *http://www.tafsir.net/vb/tafsir29336/#ixzz278nwAKzN*

تفترض تكاليفها إلا بعد تكوين النواة الصالحة لها في تربية اللبنات التي تأخذ على عاتقها القيام بها، ولا تسن أسسها التشريعية ونظمها الاجتماعية إلا بعد طهارة القلب وتحديد الغاية حتى تكون الحياة على هدى من الله وبصيرة، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨]

والذي يقرأ القرآن الكريم يجد للآيات المكية خصائص ليست للآيات المدنية في وقعها ومعانيها[55]، وإن كانت الثانية مبنية على الأولى في الأحكام والتشريع كما أشار إلى ذلك الإمام الشاطبي في موسوعته" *الموافقات*" [56].

وبعد جهد متواصل في البحث والتحري في جهود دراسات المعاصرين هداني الله عز جل إلى مصدر مهم؛ هو كنز مبارك لفكرتي العلمية والحمد لله أولاً وآخراً، وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله، وجزى الله خير الجزاء صاحب هذا الكنز العلمي العظيم خير الجزاء. أتدرون من هو؟ إنه الأستاذ سيد قطب رحمه الله وتفسيره المسمى

---

[55] العيص، زيد عمر عبد الله، *المكي والمدني في عيون المستشرقين – عرض ونقض*، ص 5، وانظر أيضاً هذه الدراسة المهمة الموسومة بـ: مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، للدكتور حسن عزوزي، حيث تطرق حفظه الله إلى بيان أهم النقاط والمنطلقات الفكرية والبحثية التشكيكية التي ينطلق منها المستشرقون لدراسة القرآن والسنة...، أنصح القارئ الكريم أن يرجع إليها فإنه فيها فوائد جمة، والكتاب متوفر في نسخة إلكترونية على الشبكة ***العنكبوتية***

http://www.muslim-library.com/book,415,1.html

[56] انظر: الشاطبي، *الموافقات في الشريعة الإسلامية*، ج1، ص 256، وانظر أيضاً: صالح، صبحي؛ *مباحث في علوم القرآن*، ص 184

بـــ:" **في ظلال القرآن**" إضافة إلى بعض مؤلفاته الأخرى[57] ، فقد كان له الفضل – بعد الله عز وجل – في هذه المسألة بلا نزاع، حيث كان له اهتمام بالغ للغاية حول كيفية توظيف علم المكي والمدني والوقوف عندهما طويلاً. لقد رأيته رحمه الله قد أطال في مقدمة تفسيره لسورة الأنعام وغيرها من السور القرآنية، وهو في هذه الوقفة الدعوية أشار أصّل هذا العلم تأصيلا قرآنيا فريدا مشيرا إلى جملة من القضايا التربوية والدعوية في هذا الصدد يجدر بنا معشر الأساتذة والأكاديميين والتربويين والدعاة إلى الله الوقوف عندها طويلا للتأمل والدراسة في كيفية توظيفها والاستفادة منها. قال رحمه الله في مقدمة تفسيره لسورة الأنعام ما نصه:

" هذه السورة مكية.. من القرآن المكي...القرآن الذي ظل يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاماً كاملة، يحدثه فيها عن قضية واحدة. قضية واحدة ولم يتجاوز القرآن المكي هذه القضية الأساسية إلى شيء مما يقوم عليها من التفريعات المتعلقة بنظام الحياة، إلا بعد أن علم الله أنها قد استوفت ما تستحقه من البيان، وأنها استقرت استقراراً مكيناً ثابتاً في قلوب العصبة المختارة من بني الإنسان، التي قدر الله لها أن يقوم هذا الدين عليها؛ وأن تتولى هي إنشاء النظام الواقعي الذي يتمثل فيه هذا الدين..." [58].

[57] راجع تفسيره في مقدمة سورة الأنعام في تفسيره: في ظلال القرآن، لترى هذه الحقيقة بارزة

[58] قطب، سيد؛ **في ظلال القرآن**، ج2، ص 3-24

نفهم من كلام الأستاذ سيد قطب السابق أن القرآن المكي لم يتجاوز قضية العقيدة الصافية المبنية على التوحيد الخالص لله عز وجل إلى غيرها من التشريعات والأوامر الفرعية. إنها قضية الإيمان بالله عز وجل التي تنبني عليها التشريعات وكافة التكاليف الدينية الأخرى، فلا يمكن للفروع في السماء أن تؤتي أُكْلَها إلا بعد استقرار وثبات الأصل في القلب.

الفصل الثالث: الخصائص الأسلوبية والموضوعية للمكي والمدني مع بعض التطبيقات الدعوية العملية في كيفية التوظيف الإيجابي

المبحث الأول: الخصائص الأسلوبية والموضوعية للمكي والمدني

المبحث الثاني: تطبيقات عملية و نماذج معاصرة سلبية لعدم فقه أبعاد علم المكي والمدني

الفصل الثالث: الخصائص الأسلوبية والموضوعية للمكي والمدني مع بعض التطبيقات الدعوية العملية في كيفية التوظيف الإيجابي

فيما يلي من الحديث سيكون تركيزنا منصبا على ذكر بعض فروع علم المكي والمدني فقط، وليس كل ما يتعلق به؛ ثم بيان علاقته بموضوع التوظيف الإيجابي لهذه الفروع العلمية المتعلقة بعلم المكي والمدني. نتطرق هنا إلى الخصائص والمميزات الأسلوبية والموضوعية فقط ومن ثَـمّ سنجري مقارنة بما هو مشاهد وملموس في حياتنا الواقعية في الدعوة والتربية. أي أنني أهدف إلى جعل هذا الجزء العلمي في علم المكي والمدني" **ميزاناً أو شهادة القرآن المركزية للإحتكام إليها – Criteria of Center**" في كافة قضايانا المتعلقة بالدعوة والتربية.

كما أني لن أتوسع في هذه المسألة إلا ما لا بد منه، حتى يكون ذلك خطوة علمية تنبنى عليها فيما بعد الخطوات الأخرى. كما أني لن أتناول شبهات ومطاعن المستشرقين أو العلمانيين والحداثيين المتلوثين والمسمومين بالفكر الغربي – الاستشراق العلماني الحداثي التنويري العربي وغير العربي – قاطبة حول جدلية النص وأنْسَنة النص وأرخَنَة النص القرآني في مسألة المكي والمدني، فهذا له مجال آخر، خصوصا وأنه قد تولى الرد على تلك الشبهات بعض العلماء الفضلاء، فيمكن الرجوع إلى دراساتهم والاستفادة منهم في هذه المسألة [59].

---

[59] نذكر على سبيل المثال لا الحصر دراسة الشيخ الدكتور محمد عبد العظيم الزرقاني في موسوعته: *مناهل العرفان في علوم القرآن*، في مبحث المكي والمدني، ج1، ص 168، ودراسة الشيخ د.محمد أحمد الفاضل في كتابه: *الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن – دراسة ونقد*، ص 276 -307، ودراسة د. أحمد إدريس الطعان بعنوان: *العلمانيون والقرآن الكريم – تاريخية النص*، مبحث المكي والمدني والتوجه الحداثي،

المبحث الأول: الخصائص الأسلوبية والموضوعية للمكي والمدني

مما لا شك فيه أن كل علم نريد تأصيله لا بد من الرجوع إلى أمهات مصادر ذلك العلم، وإلالم يكن للبحث العلمي فائدة علمية يطمئن القلب إليها ويجد العقل راحته فيها. فما يتعلق بموضوعنا لا بد من الرجوع إلى أقطاب العلماء في مجال علوم القرآن رحمهم الله، والذين أجمعت الأمة على إمامتهم وريادتهم في هذه العلوم القرآنية. أقصد هنا الإمامين الجليلين هما: الإمام الزركشي والإمام السيوطي رحمهما الله. فكل من جاء بعدهما في العلوم القرآنية فهو عالة عليهما، وإن كان بعض المتأخرين قد تميزوا في الطرح والعرض والتحليل لعلوم أسلافهم، ولكن يبقى الفضل للسابق وإن أحسن وأبدع اللاحق. وفعلاً هذا الذي رأيته في هذه المسألة، فقد ذكر الإمام الزركشي في كتابه "**البرهان في علوم القرآن** "كل القضايا المتعلقة بعلم المكي والمدني[60]. وقد اتبع الإمام السيوطي رحمه الله منهج سلفه في" **الإتقان في علوم القرآن**" بالتفصيل،

ص 530 -589، ودراسة الأستاذة منى محمد بهي الدين بعنوان: *التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم – عرض ونقد*، ص 212-302

[60] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى 794هـ)، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، 1428 هـ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج1، ص 187، وانظر: *الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة* (ت 1150 هـ)،ج1، ص 216

غير أن الطريقة التي سرد فيها هذه المسائل المتعلقة بالمكي والمدني وضوابطها وسماتها وخصائصها تحتاج إلى شيء من الترتيب والتهذيب[61].

أما دراسة الشيخ د. محمد عبد العظيم الزرقاني رحمه الله " **مناهل العرفان في علوم القرآن** " لقد رأيت عنده ترتيباً وعرضاً أفضل فيما يتعلق بعلم المكي والمدني، فأرى من الفائدة العلمية ذكر الخصائص الأسلوبية والموضوعية المتعلقة بهذه المسألة باختصار حيث قال رحمه الله: " ونذكر من خواص القسم المكي ما يأتي:

- أنه – أي القرآن المكي – حمل حملة شعواء على الشرك والوثنية وعلى الشبهات التي تذرع بها أهل مكة للإصرار على الشرك والوثنية.
- ولما عاندوا واحتجوا بما كان عليه آباؤهم نعى عليهم أن يمتهنوا كرامة الإنسان إلى هذا الحضيض من الذلة للأحجار والأصنام، وسفّه أحلامهم وأحلام آبائهم الذين أهملوا النظر في أنفسهم وفي آيات الله في الآفاق.
- أنه فتح عيونهم على ما في أنفسهم من شواهد الحق وعلى ما في الكون من أعلام الرشد ونوَّع لهم في الأدلة وتفنَّن في الأساليب وقاضاهم إلى الأوليات والمشاهدات ثم قادهم من وراء ذلك قيادة راشدة حكيمة إلى الاعتراف بتوحيد الله في ألوهيته وربوبيته والإيمان بالبعث ومسؤوليته والجزاء العادل ودقته.
- أنه تحدث عن عاداتهم القبيحة كالقتل وسفك الدماء ووأد البنات واستباحة الأعراض وأكل مال الأيتام.

---

[61] *الاتقان في علوم القرآن*، ج1، ص 167

- أنه شرح لهم أصول الأخلاق وحقوق الاجتماع شرحاً عجيباً ،كره إليهم الكفر والفسوق والعصيان وفوضى الجهل وجفاء الطبع وقذارة القلب وخشونة اللفظ، وحبب إليهم الإيمان والطاعة والنظام والعلم والمحبة والرحمة والإخلاص واحترام الغير وبر الوالدين وإكرام الجار وطهارة القلوب ونظافة الألسنة إلى غير ذلك.
- أنه قص عليهم من أنباء الرسل وأممهم السابقة ما فيه أبلغ المواعظ وأنفع العبر من تقرير سننه تعالى الكونية في إهلاك أهل الكفر والطغيان وانتصار أهل الإيمان والإحسان مهما طالت الأيام وامتد الزمان ما داموا قائمين بنصرة الحق وتأييد الإيمان.
- أنه سلك مع أهل مكة سبيل الإيجاز في خطابه حتى جاءت السور المكية قصيرة الآيات صغيرة السور. لأنهم كانوا أهل فصاحة ولسان، صناعتهم الكلام وهمتهم البيان، فيناسبهم الإيجاز والإقلال دون الإسهاب والإطناب.
- كما أن قانون الحكمة العالية قضى بأن يسلك سبيل **التدرج والارتقاء في تربية الأفراد وأن يقدم الأهم على المهم. ولا ريب أن العقائد والأخلاق والعادات، أهم من ضروب العبادات ودقائق المعاملات..**" [62].

أما عن خواص المدني فقد ذكر فيه ما يأتي:

- التحدث عن دقائق التشريع وتفاصيل الأحكام وأنواع القوانين المدنية والجنائية والحربية والاجتماعية والدولية والحقوق الشخصية وسائر ضروب العبادات والمعاملات. انظر إن شئت في سورة البقرة والنساء والمائدة والأنفال والقتال..

[62] انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم؛ *مناهل العرفان في علوم القرآن*، ج1، ص 193 - 203

- دعوة أهل الكتاب من يهود ونصارى إلى الإسلام ومناقشتهم في عقائدهم الباطلة وبيان جناياتهم على الحق وتحريفهم لكتب الله ومحاكمتهم إلى العقل والتاريخ. اقرأ إن شئت سورة البقرة وآل عمران والمائدة والفتح ونحوها.

ويبدو لي في نهاية هذا المطلب أن هذا المقدار من الحديث عن خصائص وسمات الآيات المكية والمدنية كافٍ لقياس بعض التطبيقات الدعوية المعاصرة ومدى مطابقتها لهذا العلم.

المبحث الثاني: تطبيقات عملية ونماذج معاصرة سلبية لعدم فقه أبعاد ودلالات علم المكي والمدني

أما كيفية توظيف هذا العلم في حياتنا الدعوية مع المدعوين من مختلف الشرائح، فإنه يتحتم علينا تحليل ما نسمع وما نرى في الوسائل الإعلامية المختلفة لمقارنة أساليب وموضوعات تلك الخطب والمحاضرات ومن ثـــمّ عرضها على ميزان الأسلوب والمنهج القرآني مع المدعوين حديثي عهد بالإسلام، وكل من يتعدى هذا المنهج القرآني في الدعوة إلى الله فقد باء بالفشـــل. أعتقد بقوة أن حال مجتمعاتنا المســـلمة المعاصـــرة في الغرب والشـــرق لا يختلف كثيراً عما كان عليه حال المجتمع المكي والمدني عندما كان يتنزل القرآن الكريم عليهم مصـــوباً مســـارهم العقدي والأخلاقي والاجتماعي. إننا يجب أن نركز مع المدعوين إلى الإســـلام على بيان الدلائل العلمية والبراهين الكونية على وجود الله عز وجل الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد. علينا التركيز على جمال الإســـلام وجمال الخالق والصـــانع المدبر الحكيم ســـبحانه وتعالى، فلا يمكن رؤية هذا الجمال الإلهي إلا من خلال النظر والتأمل في المخلوقات التي خلقها هذا الخالق العظيم من حولنا حتى يزداد إيمان هؤلاء. قبل أن تســـتقر هذه الفكرة وحلاوة الإيمان في قلب المدعو لا يجوز لنا بحال من الأحوال الانتقال إلى موضوع آخر. هذا التصرف هو جَنيٌ للثمار قبل نضجها وحصاد لها قبل أوانها. ولعل حديث الصـــحابي الجليل معاذ بن جبل الذي رواه لنا عبد الله بن عباس [أنَّ النَّبيَّ صـــلَّى اللَّهُ عليْـهِ وســـلَّمَ بعثَ معاذَ بنَ جبلٍ إلى اليمنِ فقالَ إنَّكَ تأتي قوما أَهلَ كتابٍ، فادعُهم إلى شَهادةِ أن لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ ، وأنِّي رسولُ اللَّهِ ، فإن هم أطاعوكَ ، فأعلِمْهم : أنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ افترضَ عليْهم خمسَ صلواتٍ ،

في كلِّ يومٍ وليلةٍ ، فإن هم أطاعوكَ ، فأعلمْهم : أنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قدِ افترضَ عليْهم صدَقَةً في أموالِهم ، تؤخذُ من أغنيائِهم فتوضعُ في فقرائِهم ، فإن هُم أطاعوكَ لذلِكَ ، فإيَّاكَ وَكرائمَ أموالِهم ، واتَّقِ دعوةَ المظلومِ ، فإنَّها ليسَ بينَها وبينَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ حجابٌ] [63]. فقد بين له النبي صلى الله عليه وسلم خطوات الدعوة التي يجب أن يتبعها مع هؤلاء أهل الكتاب في اليمن خير شاهد على هذا. إن الحديث عن الأحكام الشرعية قبل استقرار العقيدة في القلب هو مجرد إهدار للوقت والعبث بالمدعو ومخالفة صريحة للمنهج القرآني وعصيان بواح للهدي النبوي في الدعوة إلى الله. هذا، وقد يسأل سائل عن الحكمة والسر في بدابة الدعوة الإسلامية في المرحلة المكية بالدعوة إلى ترسيخ العقيدة الصحيحة والإيمان بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم دون غيرها من الدعوات الإصلاحية، ولعلنا في التحليل الآتي للأستاذ سيد قطب رحمه الله في تفسيره " **في ظلال القرآن**" في مقدمته لسورة الأنعام نجد الجواب الكافي والبلسم الشافي، حيث قال رحمه الله:

" وأصحاب الدعوة إلى دين الله، وإقامة النظام الذي يتمثل فيه هذا الدين في واقع الحياة؛ خليقون أن يقفوا طويلا أمام هذه الظاهرة الكبيرة .. ظاهرة تصدي القرآن المكي خلال ثلاثة عشر عاما.. لتقرير هذه العقيدة؛ ثم وقوفه عندها لا يتجاوزها إلى شيء من تفصيلات النظام الذي يقوم عليها والتشريعات التي تحكم المجتمع المسلم الذي يعتنقها... لقد شاءت حكمة الله أن تكون قضية العقيدة هي القضية التي تتصدى الدعوة لها منذ اليوم الأول للرسالة، وأن يبدأ رسول الله صلى الله عليه

---

[63] صحيح *النسائي* بتصحيح الإمام محمد ناصر الدين الألباني، رقم الحديث 2521، **:مكتب التربية العربي لدول الخليج الطبعة :الأولى سنة الطبع1409 :هـ**

وســـلم أولى خطواته في الدعوة، بدعوة الناس أن يشـــهدوا أن لا إله إلا الله؛ وأن يمضي في دعوته يعرف الناس بربهم الحق ويعبدهم له دون سواه.." [64].

أقول: إننا بحاجة إلى استحضار هذه الحقائق المغيبة في محاضراتنا وكتاباتنا وندواتنا ومؤتمراتنا وخطبنا وحوارنا مع الآخرين. إننا نواجه اليوم ظروفاً وحالات وأناس أشبه ما تكون بظروف الأمس القريب في المرحلة المكية. وفيما يلي سأذكر حالات ونماذج مما رأيته وعايشته في حياتي الشخصية، حيث رأيت في هذه الحالات اتجاهاً معاكساً لما يأمرنا به قرآننا وترشدنا سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أقول: لقد رأيت كثيراً من الدعاة إلى الله في البلاد العربية والأوربية وعندنا في الجزيرة البلقانية – البوسنة والهرسك و كوسوفا والجبل الأسود ومقدونيا وألبانيا وصربيا – متغافلين عن هذه الحقيقة الكبرى في الدعوة إلى الله، بل وفي غيرها من دول العالم. لقد رأيت كثيراً منهم ينسى أو يتناسى فهم طبيعة وخصائص القرآن المكي، وإليكم بعض الحالات والمظاهر :

- لقد رأيت كثيراً منهم في لقاءاتي العلمية واســـتمعت إلى كثير منهم في مقاطع الفديو المسجلة التي بثت على الشبكة العنكبوتية على الانترنت متحدثين عن الأمور الفرعية في الإسلام وقد ابتعدوا عن الأولويات والحقائق الكبرى التي ركز عليها القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية.
- لقد رأيت بعضـــهم يطالب بإقامة الحدود الشـــرعية في ظل تلك الحكومات العلمانية والمعادية للإســـلام في بلادهم قبل التركيز على تقوية العقيدة في نفوسهم!

[64] انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم؛ **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج1، ص 193 – 203

❖ رأيت بعضاً من هؤلاء الأفاضل يأمرون الناس بتغيير المذهب الفقهي السني الذي ينتمون إليه في بلادهم، والذي توارثوه عن أجدادهم عبر القرون، داعين إلى اعتناق مذهب آخر مستورد من بعض البلاد العربية مبيناً أن المذهب الفلاني لم يؤسس إلا على بضعة أحاديث واهية، لا يصلح السير عليه ولا العمل بقواعد تلك المذهب!؟

❖ لقد رأيت كثيراً منهم يثير الفتنة والبغضاء بين أطياف المجتمع المسلم الذي ينتمون إليه، وذلك من خلال استيراد بعض الفتاوى من بعض البلاد العربية والتي من شانها أن تتصادم مع الأعراف السائدة، مثل عدم جواز قيادة المرأة للسيارة في البلاد الأوربية وعدم جواز مشاركتها في البرلمان أو في الحياة الاجتماعية العامة في الإطار الإسلامي المباح ! [65].

❖ لقد رأيت بعضاً من هؤلاء الدعاة في يطعنون في الشخصيات التاريخية والرموز القومية والسياسية والوطنية في الدولة، مما أحدث ذلك ردة فعل سلبي لدى الدوائر الحكومية وفتح باب التحقيق والتشكيك في المؤسسات الدينية الرسمية في البلاد.

أقول..لقد استعجل هؤلاء ثمار دعوتهم، وللأسف الشديد كانت النتائج غير مبشرة بالخير، وما ذلك إلا بسبب غفلتهم عن هذه الحقائق الدعوية مع أناس حالتهم كحال المسلمين الجدد في المرحلة المكية.

1- أين مراعاة ا لأسلوب القرآن الكريم في المرحلة المكية والمدنية؟

---

[65] انظر: أبو شقة، عبد الحليم؛ *تحرير المرأة في عصر الرسالة*، ط5، 1999، دار القلم، كويت، ج1، 69-102

2- أين مراعة الموضوعات القرآنية في المرحلة المكية والمدنية؟

3- أين مراعاة الألفاظ والكلمات والجمل في المرحلة المكية والمدنية ؟

4- أين مراعاة التكاليف والأحكام في المرحلة المكية و المدنية ؟

هذا من جانب، ومن جانب آخر تنكرهم وتطاولهم على بعض العلماء والدعاة المتقدمين السابقين في تلك البلاد، واصطدامهم مع الأعراف والتقاليد السائدة في البلاد التي يقيمون فيها، فكان عاقبة أمرهم خسراً وهم يحسبون أنهم بحسنون صنعاً. [66]

ولعل ما ذكرته في الصفحات السابقة من أمثلة كافية لبيان الآثار السلبية الناتجة عن عدم فهم طبيعة القرآن المكي وأهمية استخدامها في حياتنا الدعوية مع المدعوين المعاصرين أينما حَلْنا وارتحلنا [67].

---

[66] ولو جاز لي شرعاً لذكرت للقارئ أسماء هؤلاء الدعاة فرداً فرداً وأسماء المواقع على الانترنت فردا فردا، ولأشرت إلى مقاطع فديوهاتهم المتنوعة لهؤلاء على يوتيوب وفايسبوك وتويتر باللغات المختلفة، الألبانية والبوسنية والإنكليزية والعربية أيضاً، ولكنني لا أذكرها حتى لا تخرج المسألة من مسارها العلمي والمنهجي الصحيح، ونحن في البحث العلمي لا تهمنا أشخاص بأعيانهم بقدر ما تهمنا معالجة الفكرة أو الظاهرة المنتشرة، وأحيل القارئ الكريم إلى الاستماع لبعض هؤلاء شخصياً، والله أعلم.

[67] إن نظرة عشوائية فاحصة وسريعة على بعص المقاطع المنشورة لبعض المحاضرات باللغة الألبانية والبوسنية على الانترنت لتدرك هذه الحقيقة التي أتحدث عنها. كما أن نظرة فاحصة على مئات المقاطع المنشورة باللغة العربية أيضاً لترى هذه الأمور التي يدندنون حولها، تاركين كبرى القضايا الدينية والانشغال بالأمور الفرعية.

المبحث الثالث: نموذج مثالي معاصـــر في كيفية التوظيف الإيجابي لعلم المكي والمدني في الدعوة

أقول: إن على المســـلمين أن يجددوا الخطاب الديني الذي يقدمونه للناس، والتركيز في المحاضرات والخطب والندوات والمؤلفات والنقاشات لابد أن ينصب على تثبيت العقيدة الصـــحيحة والتوحيد الخالص الصـــحيح أولاً المبني الكتاب والســـنة الصحيحة؛ وعلى حب الله عز وجل وحب رسوله صلى الله عليه وسلم واتباع سنته في أقوالنا وأحوالنا وأفعالنا، وحب أصحابه الكرام وسلف هذه الأمة، وتحبيب الناس إلى الله وما أعده للمسلمين من أجر عظيم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

ثم إننا بأمس الحاجة إلى تبني المنهج القرآني في معالجة الموضـــوعات والقضـــايا الفكريـة والإيمـانيـة والعقـديـة التي اهتم بهـا القرآن المكي، بعيـدا عن الـدخول في المناقشـــات الفرعية، ونركز على الموضـــوع بقدر ما ركز القرآن الكريم على تلك الموضـــوعات، ولا نزيد ولا ننقص، لأن الالتزام بالكتاب والســـنة كما ينبغي ينجم عنها الإلتزام في الأمور الفرعية،.

والآن حان الوقت لتحليل كلام الأستاذ سيد قطب رحمه الله و مقارنة دعوة وحال هؤلاء المذكورين آنفاً مع رؤية وتوجيه الأستاذ سيد قطب رحمه الله مبيناً لنا طبيعة القرآن المكي و**ســـر الابتداء بالعقيدة في المرحلة المكية دون غيرها من**

الدعوات. لقد استطاع رحمه الله أن يوظف علم المكي والمدني توظيفا إيجابياً عملياً في دعوته للناس وشرح وبيان الحقائق الإسلامية في مؤلفاته وكتبه. وما كان له و لغيره أن ينجح في حسن بيان صورة الإسلام وحقيقة الإسلام والأحكام والتكاليف الشرعية قبل إدراك وفهم حقيقة وأبعاد ودلالات علم المكي والمدني. قال رحمه الله:

" ولم تكن هذه – في ظاهر الأمر وفي نظرة العقل البشري المحجوب – هي أيسر السبل إلى قلوب العرب ! فلقد كانوا يعرفون من لغتهم معنى: " **إله**" ومعنى: "**لا إله إلا الله**"..كانوا يعرفون أن الألوهية تعني الحاكمية العليا.. وكانوا يعرفون أن توحيد الألوهية وإفراد الله – سبحانه – بها، معناه نزع السلطان الذي يزاوله الكهان ومشيخة القبائل...، ورده كله إلى الله، السلطان على الضمائر، والسلطان على الشعائر، والسلطان على واقعيات الحياة...، السلطان في المال، والسلطان في القضاء، والسلطان في الأرواح والأبدان...، فلم كانت هذه نقطة البدء في هذه الدعوة ؟ ولم اقتضت حكمة الله أن تبدأ بكل هذا العناء.."

ثم يواصل الأستاذ سيد قطب كلامه معقباً ومحللاً لهذه الدروس – والاحتمالات الثلاثة – حتى تكون لنا جميعاً وللعاملين في حقل الدعوة الإسلامية عامة – بغض النظر عن لغاتهم وأوطانهم – أن الذي يحيد عن فهم وإدراك هذه الحقائق التاريخية في الدعوة إلى الله، وأن الذي يبتعد عن اتباع المنهج القرآني في الدعوة، في كلتا المرحلتين؛ المكية أو المدنية؛ كما أن الذي لا يستفيد من علوم القرآن الكريم في كيفية التعامل مع هذا الكتاب العظيم تلاوة وفهماً وتدبراً وتفسيراً

ودعوة إليه ومحبة..[68]، حريٌّ بهؤلاء عدم النجاح وعدم التوفيق. يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

- تحليل الإحتمال الأول -

"...لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدين، وأخصب بلاد العرب وأغناها ليست في أيدي العرب؛ إنما هي في يد غيرهم من الأجناس! بلاد الشام كلها في الشمال خاضعة للروم، يحكمها أمراء من العرب من قبل الرومان. وبلاد اليمن كلها في الجنوب خاضعة للفرس يحكمها أمراء من العرب من قبل الفرس...، كان في استطاعته أن **يثيرها قومية عربية تستهدف تجميع قبائل العرب**، التي أكلتها الثارات، ومزقتها النزاعات، وتوجيهها وجهة قومية لاستخلاص أرضها المغتصبة من الإمبراطوريات المستعمرة...، ولو دعا يومها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الدعوة لاستجابت له العرب قاطبة - على الأرجح - بدلاً من أن يعاني ثلاثة عشر عاماً في اتجاه معارض لأهواء أصحاب السلطان في الجزيرة! وربما قيل: إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان خليقاً بعد أن يستجيب له العرب هذه الاستجابة...! ولكن الله - سبحانه - وهو العليم الحكيم، لم يوجه رسوله صلى الله عليه وسلم هذا التوجيه ! إنما وجهه إلى أن يصدع بلا إله إلا الله: وأن

---

[68] من أروع ما رأيت في هذه المسألة كتاب فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي الموسوم بـ: *كيف نتعامل مع القرآن الكريم*، وكتاب فضيلة الشيخ الداعية محمد الغزالي الموسوم أيضاً بـ: *كيف نتعامل مع القرآن الكريم*. أوصي القارئ الكريم بالعودة إليهما والاستفادة منهما في هذا الشأن، وأيضاً إلى غيرهما من المؤلفات المتعلقة بعلوم القرآن الكريم، مثل كتاب: *قواعد التفسير – جمعاً ودراسة*، لأستاذي وشيخي الفاضل الدكتور خالد السبت حفظه الله، وكتاب الداعية عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: ***قواعد التدبر الأمثل للقرآن الكريم***، وغيرها كثير.

يحتمل هو والقلة التي تستجيب له كل هذا العناء! لماذا ؟ إن الله – سبحانه – لا يريد أن يعنت رسوله والمؤمنين معه ...، إنما هو – سبحانه – يعلم أن ليس هذا هو الطريق...، إن الأرض لله ويجب أن تخلص لله. ولا تخلص لله إلا أن ترتفع عليها راية: " **لا إله إلا الله**..." وليس الطريق أن يتحرر الناس في هذه الأرض من طاغوت روماني أو طاغوت فارسي... إلى طاغوت عربي...فالطاغوت كله طاغوت ! إن الناس عبيد لله وحده، ولا يكونون عبيداً لله وحده إلا أن ترتفع راية: " **لا إله إلا الله**"... " **لا اله الا الله** "كما كان يدركها العربي العارف بمدلولات لغته: **لا حاكمية إلا لله، ولا شريعة إلا من الله، ولا سلطان لأحد على أحد،** لأن **السلطان كله لله**...، ولأن الجنسية التي يريدها الإسلام للناس هي جنسية العقيدة، التي يتساوى فيها العربي والروماني والفارسي وسائر الأجناس والألوان تحت راية الله. وهذا هو الطريق...، [69]

– الاحتمال الثاني –

"... وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدين، والمجتمع العربي كأسوأ ما يكون المجتمع توزيعًا للثروة والعدالة...قلة قليلة تملك المال والتجارة؛ وتتعامل بالربا فتضاعف تجارتها ومالها. وكثرة كثيرة لا تملك إلا الشظف والجوع... والذين يملكون الثروة يملكون معها الشرف والمكانة، وجماهير كثيفة ضائعة من المال والمجد جميعا! وكان في استطاعة محمد صلى الله عليه وسلم أن **يرفعها راية اجتماعية**؛ وأن يثيرها حرباً على طبقة الأشراف؛ وأن يطلقها دعوة تستهدف تعديل الأوضاع ورد أموال الأغنياء على الفقراء! ولو دعا يومها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه

[69] قطب، سيد؛ *في ظلال القرآن*، ج2، مقدمة تفسير سورة الأنعام، بتصرف.

الدعوة، لانقسم المجتمع العربي صفين: الكثرة الغالبة فيه مع الدعوة الجديدة، في وجه طغيان المال والشرف. بدلاً من أن يقف المجتمع كله صفاً في وجه: " **لا إله إلا الله**" التي لم يرتفع إلى أفقها في ذلك الحين إلا الأفذاذ من الناس. وربما قيل: إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان خليقاً بعد أن تستجيب له الكثرة؛ وتوليه قيادها؛ فيغلب بها القلة ويسلس له مقادها...، أن يستخدم مكانه يومئذ وسلطانه في إقرار عقيدة التوحيد التي بعثه بها ربه، وفي تعبيد الناس لسلطان ربهم بعد أن عبدهم لسلطانه ! ولكن الله – سبحانه – وهو العليم الحكيم، لم يوجهه هذا التوجيه...، لقد كان الله – سبحانه – يعلم أن هذا ليس هو الطريق.. كان يعلم أن العدالة الاجتماعية لا بد أن تنبثق في المجتمع من تصور اعتقادي شامل؛ يرد الأمر كله لله؛ ويقبل عن رضى وعن طواعية ما يقضي به الله من عدالة في التوزيع، ومن تكافل بين الجميع...، فلا تمتلئ قلوب بالطمع ولا تمتلئ قلوب بالحقد، ولا تسير الأمور كلها بالسيف والعصا؛ وبالتخويف والإرهاب! ولا تفسد القلوب كلها وتختنق الأرواح؛ كما يقع في الأوضاع التي نراها قد قامت على غير:" **لا إله إلا الله**"...،

– الاحتمال الثالث –

"... وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستوى الأخلاقي في الجزيرة العربية في الدرك الأسفل في جوانب منه شتى – إلى جانب ما كان في المجتمع من فضائل الخامة البدوية. كان التظالم فاشياً في المجتمع، تعبر عنه حكمة الشاعر: زهير بن أبي سلمى: (**ومن لم يذُد عن حوضِهِ بسلاحِهِ يُهدمُ – ومن لا يَظلِمِ الناسَ**

يُظلمُ) ، ويعبر عنه القول المتعارف[70]: " **أنصـــر أخاك ظالما أو مظلومًا** ". كانت الخمر والميسر من تقاليد المجتمع الفاشية ومن مفاخره ذلك ! يعبر عن هذه الخصلة الشـــعر الجاهلي بجملته...، وكانت الدعارة – في صـــور شـــتى – من معالم هذا التجمع.. كالذي روته عائشـة رضـي الله عنها: إن النكاح في الجاهلية[71] كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح الناس اليوم...[72] "، وكان في استطاعة محمد صلى الله عليه وسلم أن **يعلنها دعوة إصلاحية، تتناول تقويم الأخلاق**، وتطهير المجتمع، وتزكية النفوس، وتعديل القيم والموازين...،وربما قال قائل: إنه لو صـــنع رســـول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فاستجابت له – في أول الأمر – جمهرة صالحة؛ تتطهر أخلاقها، وتزكو أرواحها، فتصبح أقرب إلى قبول العقيدة وحملها ...بدلا من أن تثير دعوة أن لا إله إلا الله المعارضـــة القوية منذ أول الطريق ! ولكن الله – ســـبحانه – وهو العليم الحكيم، لم يوجه رسوله صلى الله عليه وسلم إلى مثل هذا الطريق.. لقد كان الله – ســـبحانه – يعلم أن ليس هذا هو الطريق ! كان يعلم أن الأخلاق لا تقوم إلا على أســـاس من عقيدة، تضـــع الموازين، وتقرر القيم وتقرر الســـلطة التي ترتكن إليها هذه الموازين والقيم ; كما تقرر الجزاء الذي تملكه هذه الســـلطة وتوقعه

---

[70] يقصد الأستاذ سييد قطب بهذا التعبير المنطق العربي الجاهلي ما قبل الإسلام...الذي كانوا يتفاخرون به ولا يبالون من ينصرون!؟ أو لمن ينتصرون!؟ هذا الحديث هو من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا . فقال رجلٌ : يا رسولَ اللهِ ، أنصرُه إذا كان مظلومًا ، أفرأيتَ إذا كان ظالمًا كيف أنصرُه ؟ قال : تحجِزُه ، أو تمنعُه ، من الظلمِ فإنَّ ذلك نصرُه**]، وهو حديث صحيح رواه الإمام البخاري في صحيحه. انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، *الجامع الصحيح*، تحقيق: محب الدين الخطيب، مكتبية السلفية، القاهرة، ط1، 1430هـ، رقم الحديث 2444

[71] رواه ***الإمام البخاري في صحيحه***، كتاب النكاح، رقم الحديث 5127

[72] أحيل القارئ الكريم إلى نص الحديث في *صحيح الإمام البخاري*، خشية الإطالة في هذه الورقة العلمية المحدودة.

على الملتزمين والمخالفين. وأنه قبل تقرير تلك العقيدة تظل القيم كلها متأرجحة; وتظل الأخلاق التي تقوم عليها متأرجحة كذلك; بلا ضـابط وبلا سـلطان، وبلا جزاء!

فلما تقررت العقيدة – بعد الجهد الشاق – وتقررت السلطة التي ترتكن إليها هذه العقيدة... لما عرف الناس ربهم وعبدوه وحده... لما تحرر الناس من سـلطان العبيد، ومن سلطان الشهوات سواء... لما تقررت في القلوب:" **لا إله إلا الله**" ... صنع الله بها وبأهلها كل شيء مما يقترحه المقترحون... تطهرت الأرض من الرومان والفرس... لا ليتقرر فيها سـلطان العرب... ولكن ليتقرر فيها سـلطان الله.. لقد تطهرت من الطاغوت كله: رومانيا وفارسيا وعربيا على السواء. وتطهر المجتمع من الظلم الاجتماعي بجملته. وقام النظام الإسـلامي يعدل بعدل الله، ويزن بميزان الله ويرفع راية العدالة الاجتماعية باسم الله وحده؛ ويسميها راية الإسلام، لا يقرن إليها اسما آخر؛ ويكتب عليها: "لا إله إلا الله" ! وتطهرت النفوس والأخلاق، وزكت القلوب والأرواح؛ دون أن يحتاج الأمر إلى الحدود والتعازير التي شرعها الله – إلا في الندرة النادرة – لأن الرقابة قامت هنالك في الضـمائر؛ ولأن الطمع في رضـى الله وثوابه، والحياء والخوف من غضـبه وعقابه قد قامت كلها مقام الرقابة ومقام العقوبات...، وارتفعت البشـرية في نظامها، وفي أخلاقها، وفي حياتها كلها، إلى القمة السامقة التي لم ترتفع إليها من قبل قط...، ولقد تم هذا كله لأن الذين أقاموا هذا الدين في صـورة دولة ونظام وشـرائع وأحكام؛ كانوا قد أقاموا هذا الدين من قبل في ضمائرهم وفي حياتهم، في صورة عقيدة وخلق وعبادة وسلوك، لما أن علم الله منهم ذلك كله، علم أنهم قد أصـبحوا – إذن – أمناء على هذه الأمانة الكبرى . أمناء على العقيدة التي يتفرد فيها الله سـبحانه بالحاكمية في القلوب والضـمائر وفي

السلوك والشعائر، وفي الأرواح والأموال، وفي الأوضاع والأحوال ....، ولم يكن شيء من هذا المنهج المبارك ليتحقق على هذا المستوى الرفيع ، إلا أن تبدأ الدعوة ذلك البدء، وإلا أن ترفع الدعوة هذه الراية وحدها.. راية لا إله إلا الله .. ولا ترفع معها سواها.. وإلا أن تسلك الدعوة هذا الطريق الوعر الشاق في ظاهره ؛ المبارك الميسر في حقيقته. وما كان هذا المنهج المبارك ليخلص لله، لو أن الدعوة بدأت خطواتها الأولى دعوة قومية أو دعوة اجتماعية، أو دعوة أخلاقية.. أو رفعت أي شعار إلى جانب شعارها الواحد": لا إله إلا الله" ... "[73] .

إذن الأولوية لم تكن لإصلاح النظام السياسي ولا الاجتماعي ولا الاقتصادي ولا الأخلاق،ي لأن هذه الأنظمة والأخلاقيات الحاكمة لها إنما هي بمثابة تجليات للنظام العقدي لأنه بإصلاح العقيدة وغرس التوحيد في النفوس إصلاح كل الأنظمة الأخرى.

إن الأستاذ سيد قطب رحمه الله غاص في أعماق علم المكي والمدني – فلسفة المرحلة المكية والمدنية – دارساً الأبعاد الفكرية والنفسية والاجتماعية لهذه المرحلة في الدعوة إلى الله، وأراد أن يبين لهؤلاء المشتغلين بالدعوة والمستعجلين لثمارها حقيقة الإيمان بالله والألوهية المطلقة لله جل وعلا، وشمولية هذا الدين الرباني قائلاً:

" إن طبيعة هذا الدين هي التي قضت بهذا...فهو دين يقوم كله على قاعدة الألوهية الواحدة ...كل تنظيماته وكل تشريعاته تنبثق من هذا الأصل الكبير...وكما أن الشجرة الضخمة الباسقة الوارفة المديدة الظلال المتشابكة

[73] قطب، سيد؛ *في ظلال القرآن*، ج2، مقدمة سورة تفسير سورة الأنعام

الأغصان، الضاربة في الهواء...، لا بد لها أن تضرب بجذورها في التربة على أعماق بعيدة، وفي مساحات واسعة ؛ تناسب ضخامتها وامتدادها في الهواء...، فكذلك هذا الدين...، إن نظامه يتناول الحياة كلها؛ ويتولى شؤون البشرية كبيرها وصغيرها؛ وينظم حياة الإنسان لا في هذه الحياة الدنيا وحدها، ولكن كذلك في الدار الآخرة؛ ولا في عالم الشهادة وحده ولكن كذلك في عالم الغيب المكنون عنها؛ ولا في المعاملات الظاهرة المادية، ولكن في أعماق الضمير ودنيا السرائر والنوايا...، فهو مؤسسة ضخمة هائلة شاسعة مترامية ...، ولا بد له إذن من جذور وأعماق بهذه السعة والضخامة والعمق والانتشار أيضا ...، هذا جانب من سر هذا الدين وطبيعته؛ يحدد منهجه في بناء نفسه وفي امتداده؛ ويجعل بناء العقيدة وتمكينها، وشمول هذه العقيدة واستغراقها لشعاب النفس كلها...، ضرورة من ضرورات النشأة الصحيحة، وضمانا من ضمانات الاحتمال والتناسق بين الظاهر من الشجرة في الهواء، والضارب من جذورها في الأعماق...، ومتى استقرت عقيدة:" **لا إله إلا الله** " في أعماقها الغائرة البعيدة، استقر معها في نفس الوقت النظام الذي تتمثل فيه:" **لا إله إلا الله** "؛ وتعين أنه النظام الوحيد الذي ترتضيه النفوس التي استقرت فيها العقيدة...، واستسلمت هذه النفوس ابتداء لهذا النظام حتى قبل أن تعرض عليها تفصيلاته، وقبل أن تعرض عليها تشريعاته. فالاستسلام ابتداء هو مقتضى الإيمان...، وبمثل هذا الاستسلام تلقت النفوس تنظيمات الإسلام وتشريعاته بالرضى والقبول، لا تعترض على شيء منه فور صدوره إليها ولا تتلكأ في تنفيذه بمجرد تلقيها له. وهكذا أبطلت الخمر، وأبطل الربا، وأبطل الميسر، وأبطلت العادات الجاهلية كلها، أبطلت بآيات من القرآن، أو كلمات من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بينما الحكومات الأرضية تجهد في شيء من هذا كله

بقوانينها وتشريعاتها ونظمها وأوضاعها، وجندها وسلطانها، ودعايتها وإعلامها...، فلا تبلغ إلا أن تضـــبط الظاهر من المخالفات؛ بينما المجتمع يعج بالمنهيات والمنكرات![74].

ويعقب الأستاذ سيد قطب قائلاً مبيناً سراً آخر من أسرار المرحلة المكية والمدنية وضرورة الوقوف عندها:

"... والمسلمون في مكة لم يكن لهم سلطان على أنفسهم ولا على مجتمعهم. وما كانت لهم حياة واقعية مستقلة هم الذين ينظمونها بشريعة الله...، ومن ثم لم ينزل الله في هذه الفترة تنظيمات وشرائع ؛ وإنما نزل لهم عقيدة، وخلقاً منبثقاً من العقيدة بعد استقرارها في الأعماق البعيدة...، فلما صارت لهم دولة في المدينة ذات سلطان تنزلت عليهم الشـــرائع؛ وتقرر لهم النظام؛ الذي يواجه حاجات المجتمع المســـلم الواقعية؛ والذي تكفل له الدولة بسلطانها الجدية والنفاذ...، ولم يشأ الله أن ينزل عليهم النظام والشرائع في مكة، ليختزنوها جاهزة، حتى تطبق بمجرد قيام الدولة في المدينة ! إن هذه ليست طبيعة هذا الدين ! إنه أشد واقعية من هذا وأكثر جدية ! إنه لا يفترض المشكلات ليفترض لها حلولا...، إنما هو يواجه الواقع بحجمه وشكله وملابساته لصوغه في قالبه الخاص، وفق حجمه وشكله وملابساته..." [75] .

ورحم الله الإمام العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين عندما أشار في تفسيره للقرآن الكريم إلى فوائد معرفة المكي والمكي، فعد منها: 1- ظهور بلاغة القرآن في أعلى مراتبها حيث يخاطِب كل قوم بما تقتضـــيه حالهم من قوة وشـــدة، 2- تربية

---

[74] المرجع السابق

[75] المرجع السابق،

الدعاة إلى الله تعالى وتوجيههم إلى أن يتبعوا ما سلكه القرآن في الأسلوب والموضوع، من حيث المخاطبين، بحيث يبدأ بالأهم فالأهم، وتستعمل الشدة في موضعها والسهولة في موضعها..[76]

والآن و في الختام أتساءل؟ أين هؤلاء الإخوة الدعاة من إدراك وفهم هذه الحقيقة؟ لِمَ بستعجل هؤلاء الإخوة الدعاة في جني ثمار الدعوة بين عشية وضحاها؟ ما الذي جعلهم يعرضون عن هذا المنهج القرآني؟ هل ما زال هؤلاء الدعاة يتبعون سلطان أهوائهم؟ ما بال هؤلاء المعرضين عن فهم الأسرار الدعوية والتربوية لعلم المكي والمدني والاستفادة من خصائص وأساليب المرحلة المكية والمدنية! أين ذلك الخلق الفكري الرفيع في تعاملهم مع المدعوين؟ ما حقيقة خطابهم الديني والدعوي؟ أم أن المدعوين في واد والدعاة في واد آخر!؟ وما يعقل أهمية تلك الحقائق الدعوية المفقودة والمنسية التي أشرنا إليها وأشار إليها الأستاذ سيد قطب رحمه الله؛ إلا العالِمون.

رحم الله الأستاذ سيد قطب والإمام العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمة واسعة، و رزقنا الله جميعاً حسن الفهم لكتابه الكريم. وهكذا، وقد وصلنا بحمد الله وتوفيقه إلى نهاية هذه الدراسة. أرجو الله عز وجل أن يكتب لها القبول، وأن يجعل هذا الجهد المتواضع لوجهه الكريم وأن يدخر لي أجره ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلى من أتى الله بقلب سليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

[76] العثيمين، محمد بن صالح؛ *تفسير القرآن الكريم*، ط1، 1423 هـ، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ج1، ص 19-20

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

وبعد، فإنني أحمد الله عز وجل أن منّ عليّ ووفقني إليه من إتمام و تحرير هذه الدراسة حول التوظيف الإيجابي لعلم المكي والمدني. ومن خلال معايشتي و وقوفي على مباحثها وجزئياتها ومحاولتي للإستناد إلى كثير مما أستطيع الاعتماد عليه من أقوال ونقولات أهل العلم موثقة؛ فإني أسجل للقارئ الكريم أهم النتائج التي توصلت إليها والتي تمخضت من هذه الدراسة. فأقول وبالله التوفيق:

1- أثبتت الدراسة أن هنالك حاجة ماسة للقيام بمثل هذا النوع من الدراسات التوظيفية والتطويرية لعلوم القرآن، وأن على المشتغلين بعلوم القرآن إحياء هذا النوع من الدراسات القرآنية بغرض التوظيف الإيجابي، وهو أمر ممكن كما رأينا.

2- تمخضت من الدراسة أن أغلب العلماء المتقدمين من السلف وأغلب المعاصرين لم يتطرقوا إلى مثل هذا النوع من الدراسات الإحيائية لتوظيف علوم القرآن، إلا قلة قليلة تنبهوا إلى هذه الأهمية مثل الأستاذ سيد قطب والشيخ بن عثيمين وبعض أهل العلم رحمهم الله ممن أشرنا إليهم في هذه الدراسة.

3- تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن أكثر المستشرقين المتقدمين والمعاصرين قاموا بالتوظيف السيء للعلوم المتعلقة بالقرآن، ولا سيما علم المكي والمدني لزرع الشكوك وبث الشبهات والطعن في مصداقية القرآن الكريم.

4- رأينا في هذه الدراســـة أن كل علم يتعلق بخدمة القرآن الكريم هو وجه من وجوه الإعجاز؛ ســـواء أدركه الناس أم لم يدركوه. فكما أن القرآن الكريم معجز بذاته إلى قيام الســـاعة؛ فهذا العلم أيضـــاً لا يخلو من الإعجاز – مهما كان مستوى ذلك الإعجاز – لكونه متعلقاً بالكتاب المعجز.

5- أظهرت الدراسة أن السبب الرئيسي لظهور اتجاهات ومواقف وتيارات إسلامية متشددة لدى بعض الشباب المتحمسين في الدعوة، في كل البلاد دون استثناء؛ هو ابتعاد عن المنهجية القرآنية للمخاطبين، وجهل بطرق وأســـاليب كيفية معالجة القضـــايا العقدية والفكرية والأخلاقية والدعوية في المرحلة المكية والمدنية.

6- أظهرت الدراســة أن كثيرا من الدعاة في كل البلاد دون اســتثناء؛ على جهل كبير بطبيعة القرآن المكي والمدني وخصـــائصـــهما الموضـــوعية والأسلوبية والتربوية والدعوية.

7- شددت الدراسة على اعطاء الأولوية الاهتمام بالقضايا العقدية الكبرى أولاً لبناء مجتمع إســلامي ســليم عقدياً وســلوكياً، وعدم الالتفاف إلى القضايا الثانوية إلا بعد تأسيس وتثبيت عقيدة التوحيد الخالص.

8- أفادت الدراســـة أن الســـاحة الدعوية الإســـلامية في كل أرجاء العالم يكتنفها كثير من الغموض والفوضى لدى الدعاة، فليس هنالك أجندة الأعمال الدعوية المنظمة بين المؤسسات الدعوية على مستوى الدولة أو الأمة في اتباع منهجية منظمة لمناقشـــة القضـــايا الدعوية أو الفكرية أو الأخلاقية، إذ كل داعية أو طالب علم يعمل على شـــاكلته! فأوصـــي

بإنشاء اتحاد مركزي عالمي للدعاة والدعوة إلى الله، بحيث يكون هناك تنسيق ومتابعة لجهود الدعاة ودعوتهم في كل بلد على حدة؛ سواء منها في الدول الغربية أو الآســـيوية أو العربية وذلك لتنظيم عملية الســـير الدعوي مع مراعاة ســـلّم الأولويات الدعوية لكل مرحلة زمنية، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله صحبه وسلم تسليما كثيرا.

2 رمضان 1437 هـ – الموافق 7 يونيو 2016 م

الدوحة – قطر

المصادر والمراجع

1. أبا حسين، فهد بن سعد؛ **كيف نفهم التيسير**، دار المحدث، الرياض، ط1، 1427 هـ
2. أبو شقة، عبد الحليم؛ **تحرير المرأة في عصر الرسالة**، ط5، 1999، دار القلم، كويت
3. أبو شهبة، محمد محمد؛ **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، ط2، 2001، دار اللواء، بيروت، لبنان
4. أبو ليلة، محمد محمد؛ **القرآن من المنظور الاستشراقي**، ط1، 2002، درا النشر للجامعات، مصر
5. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، **إعجاز القرآن**، دار المعارف، القاهرة، تحقيق: السيد أحمد صقر.
6. البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع الصحيح**، ط1، تحقيق: محب الدين الخطيب، مكتبية السلفية، القاهرة.
7. برجستراسر، جوتهلف؛ **أصول نقد النصوص ونشر الكتب** – محاضرات المستشرق الألماني ألقاها بكلية الآداب عام 1932 من إعداد وتقديم: محمد حمدي البكري، ط2، 1995، مكتبة دار الكتب المصرية.
8. بن عاشور، محمد الطاهر؛ **تفسير التحرير والتنوير**،ط1، الدار التونسية، 1984، تونس.
9. بن عقيلة، **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**، ط1، 2006، من مطبوعة كلية الشريعة، جامعة الشارقة، الإمارات العربية

10. بهي الدين، منى محمد؛ **التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم**، ط1، 1429 هـ، دار اليسر، القاهرة.
11. البوطي، محمد سعيد رمضان؛ **كبرى اليقينيات الكونية** ، ط9، 1997، دار الفكر المعاصر، دمشق.
12. الجرجاني، عبد القاهر، **أسرار البلاغة**، كتاب إلكتروني، مكتبة مشكاة الإسلامية على الإنترنت.
13. حسن، عزوزي: **مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم**، كتاب إلكتروني في مكتبة الشاملة.
14. خوجة، خيرالدين؛ **الاتجاهات الفكرية والدينية في الدراسات القرآنية لدى علماء الألبان في القرن التاسع عشر والعشرين**، باللغة الألبانية، ترجمة:د. محمد مصطفى، ط1، 2009، دار أكرم كابي، مدينة تيتوفا، مقدونيا.
15. دراز، محمد عبد الله؛ **النبأ العظيم – نظرات جديدة في القرآن الكريم**، ط2، دار القلم، 2006، بيروت.
16. دروزة، محمد عزة؛ **التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول**، ط2،دار الغرب الإسلامي، بيروت.
17. دروزة، محمد عزة؛ **القرآن والمبشرون**، ط3، المكتب الإسلامي، 1978، دمشق.
18. رمضان، طارق؛ **أن تكون مسلماً أوربياً**، ط1، 1998 دار الفكر، بيروت.
19. زرزور، عدنان؛ **علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**، ط1، 2005، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية

20. الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**،ط2، 2000 دار القلم، بيروت.
21. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى 794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، 1428 هـ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة
22. السبت، خالد؛ **قواعد التفسير – جمعاً ودراسة**، ط1، دار عفان، 1996، الرياض.
23. السيد محمد رشيد؛ **تفسير المنار**، ط2، دار المنار بالقاهرة، 1947
24. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن؛ **الإتقان في علوم القرآن**، ط1، دار نوبليس،2007، بيروت.
25. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير (ت 790هـ)، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1997م
26. صالح، صبحي؛ **مباحث في علوم القرآن**، ط 10، دار العلم للملايين، بيروت، 1977
27. الصغيري، عبد العظيم؛ **كتاب الأمة**، سلسلة دورية تصدر كل شهر عن إدارة البحوث والدراسات الإسلامية **قطر**، العدد 151، رمضان 1433 هـ.
28. الطعان، أحمد إدريس؛ **العلمانيون والقرآن الكريم**،ط1، 2007، دار بن حزم للنشر والتوزيع، الرياض.

29. عضيمة، عبد الخالق؛ **دراسات لأسلوب القرآن**، ط2، دار الحديث، القاهرة، 2007.

30. العثيمين، محمد بن صالح؛ **تفسير القرآن الكريم**، ط1، 1423 هـ، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية.

31. العمادي، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى؛ **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** (ت 982)، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2006.

32. العيص، زيد بن عمر؛ **المكي والمدني في عيون المستشرقين** –كتاب إلكتروني في المكتبة الشاملة.

33. الغزالي، محمد؛ **كيف نتعامل مع القرآن الكريم**، ط2، 2000، مؤسسة الرسالة، بيروت.

34. الفاضل، أحمد محمد؛ **الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن**، ط1، 2008، مركز الناقد الثقافي، دمشق.

35. القرضاوي، يوسف؛ **كيف نتعامل مع القرآن الكريم**، مكتبة وهبة، ط2، 2002، القاهرة

36. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر؛ **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006

37. القطان، مناع؛ **مباحث في علوم القرآن**، ط5، 2002، مؤسسة الرسالة، بيروت.

38. قطب، سيد؛ **في ظلال القرآن**، دار الشروق، ط3، 1988. القاهرة.

39. المراغي، أحمد مصطفى؛ **تفسير المراغي**، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، 1946، القاهرة.

40. المطعنين عبد العظيم إبراهيم؛ **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، ط1، 1992، مكتبة وهبة.

41. منصور عبد القادر، **موسوعة علوم القرآن**، دار القلم العربي، ط1، 2002.

42. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة؛ **قواعد التدبر الأمثل للقرآن الكريم**، ط1، دار القلم، دمشق، 2000

43. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن)**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية، ط3، 1425 هـ

44. http://www.muslim-library.com/book,415,1.html

45. http://www.tafsir.net/vb/tafsir29336/#ixzz278CVA3Ji

46. http://www.almeshkat.net/books/open.php?book=1458&cat=

الدكتور خيرالدين خوجة الكوسوفي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والثقافة

الإسلامية المشارك – كلية المجتمع بقطر

Assoc.Prof.Dr.Hfz.Hajredin Hoxha

خيرالدين بن بافتي خوجة من مواليد مدينة بريزرن Prizren، عام 1968/10/1 جمهورية كوسوفا Kosova، أنهى المرحلة الإعدادية والثانوية الشرعية بمعهد الفرقان بدمشق، سوريا 1983-1989. واصل تعليمه الجامعي بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة 1990-1994. تخصص في الإقراء بعد التخرج وحصل على الإجازة في الإقراء بالسند المتصل إلى رسول الله ρ في تلاوة القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم. عمل إماما وخطيبا في مسقط رأسه ومدرسا لمادة التلاوة في فرع الثانوية الشرعية **علاء الدين** بمدينة بريزرن. حصل على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية – الجامعة الإسلامية العالمية بكوالالمبور – ماليزيا 2000-2003، عنوان الرسالة: " **منهج الأستاذ الشهيد سيد قطب في فهم آيات الدعوة – دراسة تحليلية نقدية في تفسيره " في ظلال القرآن " – سورة الأنعام نموذجاً** " . دكتوراه

في التفسير والدراسات القرآنية من كلية معارف الوحي و العلوم الإنسانية – الجامعة الإسلامية العالمية بكوالا لمبور – ماليزيا، عنوان الأطروحة: " **الاتجاهات الفكرية والدينية في الدراسات القرآنية لدى علماء الألبان في العصر الحديث –القرن 19 و20** ". درّس بالجامعة التي تخرج منها وبكلية المجتمع بجامعة طيبة بالمدينة المنورة وبكلية أصول الدين بجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية بسلطنة بروناي وبكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وحاليا يعمل بكلية المجتمع بقطر. له مؤلفات والترجمات باللغة العربية والألبانية والإنكليزية. وبجانب اختصاصه في التفسير وعلوم القرآن له اهتمام خاص بطرق التربية والتعليم وإصلاح المناهج التعليمية والتربوية في المدارس والجامعات، مع التركيز على تعلم اللغات الأجنبية والاستفادة من التكنولوجيا المعاصرة وتوظيفها في تدريس علوم الشريعة. يجيد خمس لغات. يتمتع بفكر معتدل ميسر مبني على المنهجية القرآنية وهدي السنة النبوية الصحيحة ومنهج السلف الصالح في معالجة المشاكل الدينية والفكرية والاجتماعية. حريص على بناء جسور الحوار والتفاهم وتضييق دائرة الخلاف مع المخالفين دون الخوض في القضايا السياسية. حضر عشرات الدورات والندوات والورش العلمية والمهنية والتكنولوجية بلغات مختلفة، كما أنه شارك وقدم أبحاثا علمية في عشرات المؤتمرات العالمية في الوطن العربي والإسلامي واليابان باللغة الإنكليزية والعربية. له عدة عضويات علمية واستشارية في العالم الإسلامي والعربي، وقام بتحكيم عدد كبير من البحوث العلمية باللغة العربية والإنكليزية وأشرف وناقش عددا من بحوث التخرج ورسائل الماجستير

والدكتوراه. له حضور مميز في وسائل الإعلام المحلية في كوسوفا وفي الخليج. أب لأربعة أولاد ومقيم في دولة قطر. تفاصيل أوفى تجدون في موقعه الشخصي على الإنترنت:

www.drhafezi.net